الزمزمة القمرية

في الذب عن الخمرية

تأليف

الإمام أحمد رضا خان القادري رحمه الله تعالى

الناشر

مكتبة المدينة

اسم الكتاب : **الزمزمة القمرية**

في الذب عن الخمرية

مصنفه : الإمام أحمد رضا خان القادرى رضى اللّٰه تعالىٰ عنه

تعريب : **ممتاز أحمد سديدي**

الباحث بالازهر الشريف

الناشر :

المدينة العلمية

صندوق البريد : ٨٧٥٢ اى ـ ميل : **ilmia26@hotmail.com**

كراتشى ، باكستان

التعريف بالمصنف وتأليفه

بقلم

فضيلة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري حفظه اللّٰه تعالىٰ ورعاه

الحمد للّٰه الذي هدانا بالحبيب المصطفى صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم وأكرمنا بنعمة الإسلام، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فإن رسالة ((الزمزمة القمرية في الذب عن الخمرية)) والتي نحن بصدد التعريف بها وبمصنفها الإمام أحمد رضا خان القادري الحنفي والذي يعد علما من أعلام الطريقة القادرية والفقه الحنفي في شبه القارة الهندية بما فيها باكستان وبنجلاديش والهند والذي كان من كبار المصلحين في منطقة شبه القارة، وما زالت مؤلفاته في شتى العلوم الإسلامية ودواوينه في مدح الرسول صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم بالعربية والفارسية والأردية تحتل مكانة مرموقة في شبه القارة، وإننا سوف نحاول كشف الستار عن جانب من جوانب شخصية هذا الإمام الجليل قدر استطاعتنا فنقول :

حظيت شبه القارة الهندية بعدد كبير من أولياء اللّٰه الصالحين على مر العصور والسنين والذين دفعوا مسيرة الدعوة الإسلامية إلى الأمام، كانت دعوتهم إلى اللّٰه سبحانه وتعالىٰ على أساس الحكمة والموعظة الحسنة، وما زال المسلمون في كل من باكستان و بنجلاديش و الهند يحتفلون بذكراهم السنوية حبا وتقديرا وعرفانا بالجميل، ونذكر أسماء بعض أولئك الصالحين على سبيل المثال لا الحصر، منهم الشيخ علي بن عثمان الهجويري، والشيخ معين الدين الجشتي الأجميري، والشيخ نظام الدين الجشتي البدايوني، والشيخ فريد الدين الجشتي، والشيخ بهاء الدين

السهروردي الملتاني، والشيخ أحمد النقشبندي السرهندي، وكان الإمام أحمد رضا خان أحد الأولياء الصالحين من أبناء الطريقة القادرية، والذي يحتفل المسلمون بذكراه سنويا في مدينة بريلي بالإضافة إلى مدن هندية وبلاد أخرى۔

إن حفاوة المسلمين بذكرى أولياء الله الصالحين في شبة القارة بما فيها اليوم باكستان و بنجلاديش والهند تشبه الإحتفالات التي تعقد بمنا سبة إحياء الذكرى السنوية لأهل البيت وأولياء الله الصالحين في مصر نذكر من أهل البيت سيدنا الإمام الحسين، ومولانا علي زين العابدين، والسيدة زينب، والسيدة رقية، والسيدة سكينة، والسيدة فاطمة النبوية، والسيدة نفيسة نفيسة العلم والمعرفة، والسيدة عائشة بنت سيدنا الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهم أجمعين، ونذكر من أولياء الله الصالحين في مصر، مولانا أبا الحسن الشاذلي (حميصره) والإمام عبد الرحيم القنائي (قنا)، والإمام أحمد البدوي (طنطا)، والإمام إبراهيم الدسوقي (دسوق) والإمام الشافعي (القاهرة)، والإمام المرسي أنا العباس (الإسكندرية)، والإمام البوصيري (الإسكندرية) والإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف سابقا (بلبيس) والإمام محمد متولي الشعراوي (دقادوس)، و قد سعدت بزيارة أضرحة أغلبهم بصحبة الشريف وجاهت رسول القادري في شهر جمادي الآخرة ١٤٢٠ هـ الموافق لشهر سبتمبر ١٩٩٩ مـ حيث إن قبورهم تذكرنا بالآخرة و تحثنا على خير العمل، و الإقبال على الله، و الإعراض عن الدنيا، رحمهم الله رحمة واسعة۔

من المعلوم أن الجد الثالث و الرابع و الخامس للمصنف تولى كل منهم مناصب حكومية عليا في أواخر عهد المغول بالهند، و قد استقال الشيخ أعظم علي خان ۔ الجد الثالث للمصنف العلامة ۔ من منصبه الحكومي تفرغا للعبادة، وكانت هذه

نقطة انطلاق هذه الأسرة من المناصب الحكومية إلى الدعوة و الإرشاد، ثم جاء دور مولانا الحافظ كاظم علي خان ـ الجد الثانى للمصنف العلامة ـ فقد تولى منصب الصرافة في الجيش و استقال أ خيرا من منصبه هذا رغبة في الدعوة و الإرشاد و لإقدام على العبادة للّٰه ـ سبحانه و تعالىٰ ـ أما مولانا محمد رضا علي خان النقشبندي ـ الجد الأول للمصنف الفاضل ـ فلم يفكر في الحصول على المناصب الحكومية الرفيعة بل انكب على دراسة العلوم الإسلامية و العربية، ثم وهب نفسه لنشر الدعوة الإسلامية، ثم جاء الدور علي مولانا محمد نقي على خان القادري ـ والد المصنف ـ الذي نهل من فيض العلوم الإسلامية والعربية و أسهم في دفع الدعوة الإسلامية إلى الإمام ـ

هذه هي النبذة الموجزة عن الأسرة الذي زهدت في الدنيا و أقبلت على العبادة و العلم و بالتالي لعبت دوراً ملموساً في النهوض بالأمة الإسلامية و رفع رأية الإسلام عالية خفاقة، و قد كان لهؤلاء الصالحين تأثير بالغ في نفس الإمام أحمد رضا خان، و الشيء من معدنه لا يستغرب، فقد كان جده الأول مولانا محمد رضا علي خان من أبناء الطريقة النقشبندية و من كبار علماء الأحناف في الهند، كما كان والده مولانا محمد نقي علي خان من المنتسبين إلى الطريقة القادرية و من أعلام الفقه الحنفي في شبه القارة، هذا و لم نستطع أن نعرف عن أجداده إلى أي الطرق الصوفية كان انتماؤهم، و الذي عرفنا عنهم أنهم كانوا من الزاهدين في الدنيا ونعيمها و الراغبين في عبادة اللّٰه ـ سبحانه و تعالىٰ ـ و الآخرة ـ

بعد هذا التمهيد الموجز الذي نرجو ألا يكون مملا نعود إلى الحديث عن العلامة المصنف فضيلة الإمام أحمد رضا خان و تصوفه المستمد من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف فنقول : ولد الإمام في بيت علم و فضل، و في أسرة متدينة

تسير على منهج الشريعة و الطريقة، و هكذا نشأ الإمام في جو روحي، فكان منذ طفولته منقاداً للشريعة الإسلامية الغراء، و يعود فضل تنشئته على هذا النهج القويم إلى جده و والده بصفة خاصة بعد فضل اللّٰه ـ سبحانه و تعالى ـ و في هذا يقول مولانا محمد أحمد المصباحي : ((إن الشيخ أحمد رضا خان تمسك بالشريعة الإسلامية طوال حياته، و لم يغفل في أي فترة من حياته عن القيام بالفرائض و الواجبات و عن اتباع السنة المطهرة، فأصبح قلبه مزكي و مطهراً حيث ظهرت عليه ملامح نور المعرفة الإلهية و هو في ريعان شبابه، و هذه الحقيقة المدهشة تتجلى لكل من يطالع حياة الشيخ أحمد رضا خان و لو بالنظرة السريعة))

لقد عكف الإمام أحمد رضا خان على دراسة علوم الشريعة منذ صباه حتى أنه أكمل دراسة العلوم الإسلامية و العربية السائدة في شبه القارة آنذاك ثم أقبل على دراسة علوم الطريقة و تزكية الباطن، و عن هذا يحدثنا الأستاذ إعجاز الحق القدوسي قائلا : أقدم الشيخ أحمد رضا خان على تزكية الباطن بعد ما أكمل دراسة العلوم الظاهرية (الإسلامية و العربية) فأخذ عن الشيخ آل رسول المارهروي الطريقة القادرية في عام ١٢٩٤ هـ الموافق للعام ١٨٧٧ م و في نفس الوقت تشرف بالإجازة في الحديث و الطريقة القادرية بجانب الطرق الصوفية الأخرى، الأمر الذي جعله مجمع البحرين (الشريعة و الطريقة)

و يزيح مولانا محمد صابر نسيم البستوي الستار عن سبب الشرف الذي حظى به الإمام أحمد رضا خان القادري حيث إن شيخه، أكرمه بالإجازة في الطرق الصوفية بعد أخذ الطريقة بقليل و ذلك على غير عادته إنه القائل : (كان الشيخ آل رسول المارهروي) يذرب مريديه على المجاهدة و التربية الروحية و ذلك من أجل

تزكية النفس، ثم يمنح الإجازة و الخلافة لمن يراه مناسبا، و لكنه منح الشيخ أحمد رضا خان القادري و والده مولانا محمد نقي علي خان القادري الإجازة و الخلافة دون تكليفهما بالمجاهدات، وكان هذا الأمر مثيرا للاستغراب عند بعض المريدين له، فتقدم الشيخ أحمد أبو الحسن النوري بالسؤال عن سر هذا الأمر إلى الشيخ آل رسول المارهروي و الذي رد على السؤال قائلاً : يأتيني الناس بقلوب تحتاج إلى المجاهدة لتزكيتها و لكن جاء ني أحمد رضا خان بقلب زكي طاهر، فلم يكن قلبه بحاجة إلى التزكية بالمجاهدة بل كان يحتاج إلى الإنتساب للطريقة و هذا الذي حصل له بأخذ الطريقة ـ

لقد قام العلامة المصنف الإمام أحمد رضا خان القادري بمهمة الإرشاد خير قيام، و خاصة بعد ما نال الإجازة في الحديث و الطريقة ، فانكب على الدعوة و الإرشاد و الرد على البدع و المنكرات، و قام بهذه المسؤلية من خلال مواعظه، و حواراته في المجالس، و المؤلفات القيمة ـ

يقول الداعية الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي متحدثا عن قيام الإمام أحمد رضا خان القادرى بالمهمة الإصلاحية : ((و قد قام بالمهمة خير قيام، وكان يغار على الشريعة و الطريقة معا، و يرفض التفريق بينهما، وكان يقول : إن الشريعة منبع و الطريقة بحر انفجر من هذا الينبوع، ولا يمكن الوصول إلى اللّٰه ـ سبحانه و تعالىٰ ـ إلا بالسلوك على الشريعة، و من سلك طريقا غير طريق الشريعة هلك و ضل عن طريق الحق))ـ

و هكذا عاش العلامة المصنف فقيها حنفياً، و مرشداً قادرياً، و مقاوما للبدع في عصر الأنهيار السياسي والثقافي والإجتماعي الذي شهدته الهند، و في هذا العصر

المصحوب بالفتن و الحوادث تصدي للرد على خطط الإنجليز و محاولات الهنادكة لإذلال المسلمين، كما قام بالرد على الفتن التي نشأت باسم الإسلام، و أقدم كذلك على مقاومة الأفكار الزائغة التى انتشرت باسم التصوف، جزاه اللّٰه خيراً عن الإسلام و المسلمين و جعله اللّٰه ممن رضي عنهم و رضوا عنه، و ما ذلك على اللّٰه بعزيز۔

هذه الرسالة :

تعد هذه الرسالة ((الزمزمة القمرية في الذب عن الخمرية)) من مآثر العلامة المصنف في التصوف، و له مؤلفات قيمة أخرى في هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ((الزبدة الزكية في تحريم سجود التحية)) ألفها في الرد على من يرى صحة سجود التحية للصالحين، فأثبت الإمام أحمد رضا خان القادري حرمة سجود التحية لغير اللّٰه، سبحانه و تعالیٰ۔ و ألف كذلك ((مقال العرفاء بإعزاز شرع و علماء)) قاصداً بها الرد على بعض المنتسبين إلى التصوف و الذين لا يرون الشريعة و العلماء موضع الكثير من الإهتمام، و يفرقون بين الشريعة و الطريقة، و هكذا قام العلامة المصنف بمقاومة كل فكرة راها زائغة۔

لقد اندفع المصنف الفاضل إلى تأليف رسالته هذه في الدفاع عن القصيدة الخمرية للشيخ عبد القادرالجيلاني و الذي أحبه العلامة المصنف حباً جماً و نظم في مدحه قصائد و رباعيات و أبيات رائعة بالعربية و الفارسية و الأردية، و لقد أقر نسبة الخمرية هذه إلى مولانا الشيخ عبد القادر ثم انتقل إلى الرد على من توجه بالطعن في عربية القصيدة فكتب في ذلك عشر نكات (١) هي :

النكتة الأولى : في الإحتفاء بقواعد اللغة العربية و أهمالها۔

---

(١) استخدم المصنف في الأصل كلمة ((نكتة)) و هي مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر من نكت رمحه بالأرض أثر فيها وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثر الخواطر في استنباطها ۔ (انظر : التوقيف على مهمات التعاريف للمناوى صفحة ٧١٠)

النكتة الثانية : في بيان عدم الإهتمام بقواعد الإعراب من طرف بعض الأئمة و العلماء الكبار۔

النكتة الثالثة : في حال اللغة غير لغة الأم۔

النكتةالرابعة : فيأقسام الفن و أحكامه التي يجعلها المتكلم فيها نصب عينها۔

النكتة الخامسة : الضرورات الشعرية و آفاقها الواسعة و ذم الإنغماس فيها۔

النكتة السادسة : السبب النفيس لصدور كلمات رفيعة من أولياء اللّٰه الصالحين۔

النكتة السابعة : في أن أولياء اللّٰه تعالىٰ يلحنون عن عمد في بعض الأحيان و لهم فيه أسرار۔

النكتة الثامنة : إهمال الأولياء الأجلاء و الأئمة و العلماء الكبار في أمر العربية۔

النكتة التاسعة : أن الكمال في اللغة لايعد من كمال أهل الكمال بل يعد من الزوائد۔

النكتة العاشرة : لحن المحبوبين أحب من صواب الآخرين ۔

و من مطالعة هذه النكات العشرة تتجلى لنا ثقافة المصنف متعددة المناحي، و رسوخه في العلم، فإنه أفاد من نبع الحديث النبوي الشريف، وكلام الفقهاء، و الأدباء، والصوفية فقام بمهمته العلمية خير قيام أجزل اللّٰه له المثوبة۔

لقد طلب الشريف وجاهت رسول القادري ترجمة هذه الرسالة من ابننا العزيز ممتاز أحمد السديدي إلى اللغة العربية أيام كنا في مصر، حيث سعدنا بزيادة مراقد أهل البيت و أولياء اللّٰه الصالحين كما تشرفنا بالحضور في رحاب الأزهر المعمور خلال هذه الرحلة، حيث كان لنا شرف اللقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي حفظه اللّٰه تعالىٰ۔

لقد كانت رغبة الشريف وجاهت رسول القادري في ترجمة هذه الرسالة نظراً لما تحتوي عليه من البحوث الأدبية فلبي ابننا البار ممتاز أحمد السديدي الباحث

بالأزهر الشريف مطلبه و بدأ الترجمة غير أنه لم يستطع أن يكملها إلا عند عودته إلى باكستان لجمع المادة العلمية لرسالة العالمية ((الدكتوراه)) وقتئذ عرضنا أمر التخريج على مولانا عبد النذير السعيدي فقام بالتخريج۔

و هكذا تمت الترجمة و التخريج، و يقوم مركز بحوث الإمام أحمد رضا بكراتشي مشكوراً بطبع هذه الرسالة، أسأل اللّٰه أن يجزي خيرا كل من أسهم في إخراج هذه الرسالة إلى النور، و صلى اللّٰه تعالیٰ على خير خلقه سيدنا محمد و على آله و أصحابه و علماء ملته و أولياء أمته و المسلمين أجمعين۔

تحريراً في غرة جمادي الاول

١٤٢١ هـ

كتبه

محمد عبد الحكيم شرف القادری

أستاذ الحديث النبوي الشريف

بالجامعة النظامية الرضوية بلاهور

بسم الله الرحمن الرحيم

تـقر يظ

لفضيلة الشيخ محمد القادري الشامي

الحمد لله الرحيم الكريم الغفار، القادر العلي القهار، باريء الليل والنهار، مجلي الأسرار لعباده الأبرار، و الصلاة و السلام على سيد الأخيار، و إمام الأنبياء والرسل الأقمار، سيدنا محمد و على آله و صحبه و كل من في فلكهم دار، بعدد ورق الشجر و قطر الأمطار، صلاة ينجو قائلها من عذاب القبر و النار، و رضي الله عن الغوث الصمداني و الكوكب النوراني سيدنا و مولانا الإمام عبد القادر الجيلاني و عن مصنف هذه الرسالة، و عن كل المجددين العلماء العاملين بهدي سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلمـ و بعد :

فإنه من فضل الله ـ سبحانه و تعالىٰ ـ و منه و كرمه عليّ أن جعلني من أتباع و ذرية سيدنا و مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم و أكرمني كذلك أن جعلني من المحبين لقطب رحي العارفين سيدنا عبد القادر الجيلاني قدس سره الأنوار ـ وإني قد كلفت بكتابة تقريظ لترجمة أخي الفاضل الشيخ ممتاز أحمد السديدي لرسالة العلامة الفقيه الحنفي الحنيفي المحدث، الأديب، سيدي الشيخ أحمد رضا خان، رحمة الله تعالىٰ عليه ـ فأقدمت على كتابة هذه الكلمات رجاء البركة بأثر من آثار هذا الولي الصالح المحب الصادق لصاحب العلم الوافر و الحال الظاهر سيدي و مولائي الشيخ عبد القادر الجيلاني، نفعني الله و جميع المحبين لشيخنا الجليل بعلومه و أحواله و أفاض علينا من بركاته و بركات كل الصالحين، آمين ـ

لقد اطلعت على هذه الرسالة النفيسة ((الزمزمة القمرية في الذب عن الخمرية)) و التى دافع فيها العلامة المصنف بشدة عن الخمرية إذ أن بعض المعاصرين له أنكروا نسبة هذه القصيدة إلى سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني، تلك القصيدة العصماء التي أتى بها ناظمها هائما فى الحب الإلهى، و التي نسمع دويها في العالم الإسلامي أجمعه، تلقاها المسلمون كابرا عن كابر بوصفها قصيدة لسيدنا و مولانا الجيلاني فكالوا و ما زالوا ينالون من بركاتها حتى عصرنا الراهن، إذ روي أن من بركاتها على من يقرأها أنه يزيد فهمه بالعربية و إن لم يكن من أهلها وغيره ذلك الكثير و الكثير۔

و إن نسبة هذه القصيدة إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني لمن الثوابت التي لا ينكرها إلا من لم يتذوق حلاوة معانيها و الروحانية السارية في كيانها، و إن من يطعن في لغة هذه القصيدة بقصد نفيها عن ناظمها فلا نملك إلا أن نذكره الحديث القدسي ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)) و نوصيه بتقوى اللّٰه عزوجل ۔

أن مولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني لم يتفرغ لنظم الشعر إنما أقدم على النظم من وقت لآخر لكي يعبر عن أحواله في الحب الإلهى حتى تكون له ديوان شعر و الذي يعد جزئًا هامًا من وجدانيات الأدب الصوفي، والخمرية التي نحن بصدد الحديث عنها احدى قصائده التي اشتهرت في الآفاق، فقد لاحظت في بلادي بلاد الشام أن الخمرية هذه تقرأ بنية الفيض و الفتح في العلم خاصة في اللغة العربية، و إن المجالس لتعطر بقراء تها ۔

لم ينظم شيخنا الجليل بالعربية دونما تمكن منها بل قرض بها عن إلمام بها و تعمق فيها، حيث إنها لغة أجداده المسلمين و دينه الحنيف، فإن نسبه الشريف يمتد

إلى سيدنا حسين من طريق أمه، و إلى سيدنا الحسن من طريق أبيه، و هذا ما ثبت عند المحققين من أهل التاريخ و النسب، و من هنا تتجلى عروبته ـ

هذا و إنه تضلع من العربية و آدابها بالدراسة ثم بالتدريس فالعطاء الإلهى، لقد درس العلوم الإسلامية و العربية منذ صباه ببالغ الشغف، إذ أنه بدأ الدراسة بحفظ القرآن، ثم توجه إلى كبار علماء بغداد لتلقي العلوم الإسلامية و العربية، تعلم الأدب و اللغة العربية على يد أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي، لقد تصدر شيخنا للتدريس حيث كان يقرأ عليه فى اليوم أكثر من ثلاثة عشر درسا في مختلف العلوم فانتفع به و أخذ عنه كبار العلماء كالمقادسة و منهم قدامة بن جعفر، و تربع على كرسي الوعظ كذلك فألقى بالخطب العربية الرائعة ذات إيقاع في نفوس المستمعين و التي نتمتع بمطالعتها ضمن كتابه ((الفيوض الربانية)) و التي تدل على تمكنه من ناصية اللغة العربية، و قد أورد الإمام الشطنوفي أن شيخنا الجليل رأي جده ـ صلى اللّٰه عليه وسلم ـ و إليكم تمام القصة على لسان مرشدنا الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني حيث يقول : رأيت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و سلم يقول : يا بُنَيَّ لم لا تتكلم (أى تخطب)؟ فقلت : يا أبتاه أنا رجل أعجمي فكيف أ تكلم على فصحاء العرب ببغداد، قال لي : افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا، وقال لي تكلم وادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة، فصليت الظهر و جلست و حضرني خلق كثير فارتج علي فرأيت سيدي علي بن أبي طالب ـ كرم اللّٰه وجهه ـ قائمًا بإِزائي في المجلس فقال لي : يا بنيّ لم لا تتكلم؟ قلت يا أبتاه قد ارتج عليّ فقال : افتح فاك، ففتحته فتفل فيه ستا، فقلت له لم لا تكملها سبعا ؟ قال : تأدبا مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و سلم ـ و هكذا أكرم شيخنا بالعلم اللدني فبلغ من الفصاحة و التأثير مبلغًا باهراً، لقد حباه اللّٰه بهذه المرتبة بعد ما

تلقى العلوم الإسلامية و العربية بنهم، و قام بتدريسها باهتمام كبير، الأمر الذي لايترك مجالاً للطعن في عربيته، إلا أن بعض المعاصرين لسيدي الشيخ أحمد رضا خان حاولوا أن يبحثوا عن مواطن الضعف في الخمرية حتى يتسنى لهم نفي نسبتها إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومن هنا انبري الشيخ أحمد رضا خان للدفاع عن الخمرية فدافع عنها دفاعًا مجيداً و مصحوباً بالأدلة العقلية و النقلية في عشر نكات حيث إنه بين أن كثيرا من فطاحل الشعراء، و الأئمة، و العلماء لحنوا في بعض الأحيان، و هذا منهم لا يقلل من قيمتهم الأدبية و العلمية شيئاً فقد تركزت همم الكثير منهم على المعاني دون الألفاظ إذ أن المعاني في رأيهم كالروح و الألفاظ بمثابة الجسد، فالإهتمام بالروح أولى من التركيز على الجسد ـ

إن هذه الرسالة إن دلت على شيء فإنما تدل على غيرة المصنف رحمه الله على الحق، كما تدل على عمق الصلة و شدة المحبة بينه و بين سيدي الشيخ عبدالقادر الجيلاني، و يتبين كذلك من عرض المصنف للنكات العشر رجاحة عقله و حذاقة رأيه، جزاه الله عن المحبين للشيخ عبد القادر الجيلاني خير الجزاء على ما قدم للعلم، فإن الزمزمة القمرية شفاء للعليل و أرواء للغليل، و نور يجلي لنا الحق و يصرف عنا كل دخيل ـ

و في نهاية المطاف أسأل الله سبحانه و تعالى ـ أن يجعل هذا العمل الطيب المبارك من أخي في الله الشيخ ممتاز أحمد السديدي في ميزان حسناته خالصاً لوجهه الكريم، و أن يجعله الله تعالىٰ من مفاتيح الخير، و النور، و الهداية، و يجعله قرة عين لسيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ـ و لمولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني، فهو

بالإجابة جدير و على كل شيء قدير.

كتبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــه

خويدم الطريقة القادرية العليا في بلاد الشام سوريا دمشق

محمد مُطَرَهُ جِيُ القادري الحسيني

خريج كلية أصول الدين (قسم الحديث)

من جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله المحي القادر المتعال، الذي سقى سيدنا كأسات الوصال (١) و توج ملكنا بتيجان الكمال، و الصلاة و السلام على نبينا المصطفىٰ عبد القادر (٢) العظيم النوال، الغوث الغيث الواهب الآمال، و آله و صحبه خير أصحاب و آل، و ابنه الجليل الجمال الجميل الجلال (٣) الذى جَعَلَ قدمَه بأمر القديم على أعناق الرجال (٤) و أشهد أن لا إله إلا الله شهادة تُحَصّل الآمال و تصلح المآل، و أن محمدا عبده و رسوله سيد السادات و مولى الموال، صلى الله تعالىٰ عليه و عليهم بتواتر و توال، إلى أبد الآباد من أزل الآزال، و علينا معهم يا مجيب السؤال، آمين (٥)

أما بعد فقد وَصَلَتُ ـ فى منتصف شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٦ هجرية على صاحبها

---

(١) إشارة إلى لامية الشيخ عبد القادر الجيلاني و التي مطلعها :

سقاني الحب كأسات الوصال   فقلت لخمرتي نحوي تعالي

و من الجدير بالذكر أن هذه القصيدة هي موضوع حديث العلامة المصنف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ و قصد رحمه الله تعالىٰ بكلمة ((سيدنا)) الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره ـ

(٢) أتى المصنف الفاضل بهذا المركب الإضافى وصفا لسيدنا رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه و سلم من باب براعة الإ ستهلال لأنه سيتحدث فى مصنفه عن مولانا الشيخ عبد القادر و هذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على تمكنه من ناصية اللغة العربية و براعته في النثر العربي ـ

(٣) هنا يشير المصنف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني إذ أنه من عترة سيدنا رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه و سلم ـ

(٤) إشارة إلى مقولة أدلى بها الشيخ عبد القادر الجيلاني حين أكرمه الله بالسمو و العلو فأجرى الله على لسانه ((قدمي هذه على رقبة كل ولي لله))ـ

(٥) هذه الخطبة الوجيزة بما فيها من الحمد فالصلاة و السلام على خير الأنام ثم شهادة التوحيد و الرسالة مما كتبه المؤلف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ باللغة العربية التي تعلّمها و تعمَق فيها لأنها لغة الدين الحنيف ـ

الصلاة و التحية ـ إلى هذا العبد الفقير عبد المصطفٰى (١) أحمد رضا المحمدي السنّي الحنفي القادري البركاتي البريلوي ـ أغرقه اللّٰه وكل من يليه في بحار ولاء وليه و واليه ـ والرسالة التي بعثها مولانا محمد إبراهيم القادري البركاتي المدراسي الحيدرآبادي ـ سلمه القادر بتوالي الآبادي ـ والتي جاء فيها بما يلي :

بسم اللّٰه خير الأسماء

فضيلة الشيخ مدظله ‘ تسليمات بكل احترام ـ

إن مولانا محمد وكيل أحمد الإسكندربوري يتقدم إليكم بالتسليمات‘ و الذي في هذه الأيام منكب على شرح لامية الشيخ عبد القادر الجيلاني‘ وكلفني بأن أفيدكم بهذا الأمر طمعا في رأيكم في هذا الصدد‘ إنه يرى أنكم مكرّمون بعلو القدر و سمو المكانة و إننا لا نستغني عنكم في شرح هذه القصيدة حتى نستمد من نفحاتها و بركاتها‘ و هو يقول : إن عائلته ملتزمة بِقَرَاء ة هذه القصيدة‘ و لما اشتبه أمرها على بعض الناس أصبح من الواجب علينا أن نبدد شكّهم ـ ١هـ

أقول : إن مولانا محمد إبراهيم القادري استشارني مصداقا لقول اللّٰه عزوجل ﴿وشاوِرُهم فى الأمر﴾ (٢) و إلا فأين أمر الصلاح من فاقده و انظر في التفاوت بين الإثنين‘ وكان هذا العبد الفقير مشغولا في ترتيب مجموعة الفتاوى التي أصدرتها‘ كما كنت ساعيا في تبييض و ترتيب رسائل والدي‘ بالإضافة إلى تأليف رسائل جديدة منها

---

(١) هذا لقب اختاره المصنف رحمه اللّٰه تعالىٰ ـ لنفسه نظراً لحبه الشديد بالحبيب المصطفى صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم مع الأخذ في الإعتبار أن العبودية ليست إلا للّٰه الواحد القهار‘ و المراد من كلمة العبد هنا الخادم و المملوك‘ وكان المصنف مقتديا بسيدنا زيد بن حارثة الذي فضل أن يكون خادما ومملوكا لسيدنا رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم بدلاً من أن يعيش حراً مع أهله و عشيرته ـ

(٢) السورة آل عمران ٣ / ١٥٩

: ((صفائح اللجين في كون التصافح بكفى اليدين)) وفي مثل هذه الظروف أردت أن أعرب عن رأيي بايجاز و ذلك في (٢٥) من شهر ذي الحجة عام (١٣٠٦) هـ يوم الجمعة، و لكنني ما إن جلست لهذا العمل إلا فاضت قريحتى و وجدت المادة العلمية للرسالة جاهزة فاسميت هذه الرسالة المترقبة ((بالزمزمة القمرية فى الذبّ عن الخمرية))

و رجائي أن تحظي هذه المحاولة بالقبول من الحضرة القادرية، فإن الأمر غير عسير على الكرام (١) فإذا استحسن مولانا محمد وكيل أحمد كتابتي فليجعلها ملحقا لشرح الخمرية الذي يقوم به وإلا فأنا أعرف نفسي و بضاعتي، و إنني أقول بكل صراحة و سعيد بكل ما أقول، إنني متبع العشق و مرتاح في الدارين (٢)۔

هذا و الحمد لله المولى المقتدر و الصلاة و السلام على عبد القادر ﴿و يعني به سيدنا رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه و سلم﴾ و آله و صحبه الكرام الأطاهر، آمين، وها أنا أقول مجيبا للفاضل المولوي وكيل أحمد السكندرفورى ۔ نورنا الله تعالىٰ و إياه بالنور المعنوي و الصورى، و جعلنا و إخواننا جميعا من الذين لهم من الرب الرحيم حسن وعد مضى، و من النبي الكريم ذي الفضل العظيم أحمد رضا، فكان كفيلهم الأحد و الوكيل أحمد، عليه و على آله الصلاة و السلام إلى منتهى العدد و نهاية الأبد۔

سند القصيدة الخمرية

إن نسبة القصيدة اللامية الخمرية الغوثية المباركة إلى مؤسس الطريقة القادرية ۔ أعظم الله تعالىٰ شأنها و أعلى مكانها ۔ بلغت من الشهرة مبلغا لا بأس به، و

---

(١) هذه ترجمة لشطرة فارسية ذكرها المصنف و هي كالآتي : بر كريمان كارها دشوار نيست

(٢) هذه ترجمة حرة لبيت فارسى نصه كالآتي :

فاش ميكويم وأزكفته خود دل شادم بنده عشقم وأزهر دوجهان آزادم

المشايخ اتخذوها ورداً و أجازوا بقراء تها، و الألوف من الخواص و العامة يرون صحة نسبة الخمرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ

لقد أقدم مولانا محمد فاضل الكلانوري ـ رحمه اللّٰه تعالىٰ المعاصر للعلامة سيدي أحمد الحموي صاحب غمز العيون و البصائر شرح الأشباه و النظائر ـ على شرح هذه الخمرية باسم الرموز الخمرية، و أقر بنسبة هذه القصيدة إلى شيخنا الجيلاني ـ

و لنستمع إلى سيدنا أبي المعالي محمد المسلّمي الذي يعده مولانا عبد الحق المحدث الدهلوي من أبناء و علماء الطريقة القادرية فإنه في تأليفه ((التحفة القادرية)) يقول تحت عنوان : الباب الحادي عشر : فيما أخبر به الشيخ عبد القادر الجيلاني عن نفسه، يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي رضي اللّٰه تعالىٰ عنه أن الشيخ عبد القادر الجيلاني قال في مدرسته مراراً و تكراراً : كل ولي على قدم نبي، و أنا على قدم جدي صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم ما رفع صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم قدما إلا وضعت قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه، إلا أن يكون قدما من أقدام النبوة، فإنه لاسبيل أن يناله غير نبي، و قد تناول الشيخ عبد القادر هذا المعنى فيما نظمه أيضاً، إنه القائل :

وكل ولي له قدم وإني   على قدم النبي بدر الكمال (١)

و إننا نلحظ هذا في كتب المشايخ، و في مثل هذا الأمر بل في الأهم و الأجل منه يكتفي أهل العلم بهذا القدر من الدليل و لا يرون حاجة إلى اتصال السند فقد ذهب إلى هذا أبو إسحاق الإسفرائيني، ثم الإمام الأجل جلال الدين السيوطي، ثم سيدي

---

(١) تحفة قادرية (التحفة القادرية) للشيخ أبو المعالي محمد المسلمى صفحة ٧٩ (النسخة الخطية)

العلامة أحمد الحموي الذي ينقل في كتابه ((غمز العيون)) في شأن كتب الفقه أنه : لايشترط اتصال السند إلى مصنفيها (١)۔

و قد صرح الإمام المحقق على الإطلاق كمال الدين محمد بن الهمام في فتح القدير ثم العلامة زين بن نجيم المصري في الأشباه و النظائر : ((أنه لا حاجة للسند في عصرنا هذا للنقل عن مجتهد ما إذ يكفي الأخذ من أي كتاب معروف))۔

و من كلامه نستشف أن تداول الأيدي شرط ليكون الكتاب معروفاً (٢)، و لكننا نرى خاتم المحققين سيدنا محمد بن عابدين الشامي أنه ينتقد هذا الشرط و يكتفي بتعدد نسخ الكتاب قائلاً : ((وهو حسن وجيه يتعين المراجعة إليه)) (٣) و عندما ننظر في أمر القصيدة الخمرية نجدلها شهرة، و تداول الأيدي، أما تعدد النسخ فخارج عن العد ۔(٤)

و قد حدَث سيدنا و مولانا رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم ببعض الأمور إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر (رضي اللّٰه تعالىٰ عنه ۔ قبيل لحوقه بالرفيق الأعلى، ورد هذا الحديث فى إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام محمد الغزالي، و المدخل للإمام ابن الحاج المكي، كما ورد جزء منه في الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للإمام العلام أبي الفضل عياض، و قال الإمام جلال الدين السيوطي معلقا على هذا الحديث : ((لم أجده في شيء من كتب الأثر لكن صاحب اقتباس الأنوار و ابن الحاج في مدخله ذكراه في ضمن حديث طويل وكفى بذلك سندا لمثله، فإنه ليس مما يتعلق

(١) الأشباه و النظائر (الفن الثالث : أحكام الكتابة) للعلامة زين بن نجيم المصري (ط : أدارة القرآن : كراتشي) ج ٢ صفحة ١٩٨۔

(٢) المرجع السابق، ج ٢ صفحه ١٩٨۔

(٣) حاشية لابن عابدين (ط : دار إحياء التراث العربي، بيروت) ج ٤ صفحة ٣٠٦۔

(٤) إن التزام أسرة الشيخ بإجازة الخمرية مثل سائر الأوراد و الأدعية بمثاية السلسلة و السند كسلاسل الطرق التي تتضمن الدعوات و أسماء المشايخ (تعليق العلامة المصنف)۔

بالأحكام)) (١)

و موجز القول : إن في مثل هذا الأمر الذي لايتعلق بالأحكام يكفي هذا القدر من الحجة، و لاحاجة إلى الأسانيد الصحيحة المتصلة أو التواتر، إلا إذا كان هناك كلام يخالف الشريعة بصراحة ـ و العياذ بالله ـ فلا تجوز نسبته إلى أي مسلم دون دليل ينص على صحتها، فضلاً عن إثبات نسبته إلى الرفيع المنيع (الشيخ عبد القادر الجيلاني) عليه رضوان الملك السميع ـ

فائدة جليلة (٢) :

اِنِّي أرى كفاية في هذه النكتة لما يدور بين الفرقتين الضالتين المعاصرتين تندفع طائفة إلى تجويز و تأييد أقوال نسبت إلى المشايخ شفويا أو في كتب غير ثقات مع أن هذه الأقوال تخالف الشرع الحنيف بصراحة، كما تجعل طائفة أخرى هذه الأقوال المنسوبة إلى المشايخ شفهياً أو في كتب غير موثقة وسيلة للطعن في المشايخ، كل منهما واقعة في الإفراط و التفريط و بعيدة عن الصراط المستقيم، انفصلت الأولى من اتباع الشريعة بزعم حب الأولياء، بينما وقعت الثانية بخدعة اتباع الشريعة في هاوية ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)) مع أن رفض هذه النسبة كان أوجب واجب حين انعدام دليل قطعي و متواتر۔ يقول الإمام مرشد الأنام حجة الإسلام محمد الغزالي۔ قدس سره ـ و العلامة علي القاري عليه رحمة الباري ـ (٣) ((لا تجوز نسبة

---

(١)مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفاء، للإمام جلال الدين السيوطي ـ

(٢) إن نسبة كلمات تخالف الشرع الحنيف إلى ولي من أولياء الله بدون دليل قطعي لا تقبل، و هذه النسبة ترفض و إن كان سنده من الآحاد (تعليق العلامة المصنف)۔

(٣) إحياء علوم الدين (كتاب آفات اللسان، الآفة الثامنة اللعن) للإمام محمد الغزالي (ط: القاهرة)ج٣ صفحة١٢٥، منح الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر، للعلامة علي القاري (ط : مصطفى البابي الحلبي، قاهرة) صفحة ٧٢)

مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق، نعم يجوز (١) أن يقال: قتل ابن ملجم ،عليا رضي اللّٰه تعالىٰ عنه ـ و قتل أبو لؤلؤة ،عمر رضي اللّٰه تعالىٰ عنه ـ فإن ذلك ثبت متواتراً، فلا يجوز أن يرمي مسلم بفسق و كفر من غير تحقيق))ـ

هذه النكتة جديرةٌ بالحفظ فإنها تنقذ من المهلكات الكثيرة إن شاء اللّٰه الحفيظ تعالىٰ ـ

أحكام مراعاة العربية و تركها و تعلمها :

ننتقل الآن إلى ما كان من الطعن في عربية الخمرية، نقول و باللّٰه التوفيق و به الإعتصام، تجدر بعض النكات بالإهتمام، بعضها أملح من بعض في المقام ـ

(١) وقع هاهنا في نسخة شرح الفقه الأكبر الشائعة في بلادنا تحريف شديد فنقل فيها لفظ الإحياء هكذا، بل لايجوز أن يقال : إن ابن ملجم قتل عليا ، و لا أبو لؤلؤ قتل عمر، فإن ذلك لم يثبت متواتراً هـ و هو باطل صريح كما لا يخفي، و الصواب ما نقلت فليتنبه (تعليق المصنف)ـ

النكتة الأولىٰ

في الإحتفاء بقواعد اللغة العربية و إهمالها

إن الحق عزوجل أعطى الإنسان لسانا، و وهب للسان قدرة البيان حتى يعبر الإنسان عن مكنون خاطره، و هذا هو المقصود الأصلي والباقي كله من الزوائد ﴿**خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (١) و إنما البيان هو الإظهار، إذ به يتبين المرام و يبين أي : يمتاز عن غيره، أو يبين أى : ينفرد عن ضمير المتكلم إلى سمع السامع، بأن ظهر و امتاز و انفرد، و أبان : أظهر و ميز و أفرد۔

و إن العربية كسائر الفنون شعبتان : العلم و العمل، أما العلم فمن الواجبات الكفائية، إذ به القدرة على فهم الكتاب و السنة، و لابد للأئمة المستنبطين و الهداة و الدعاة إلى طريق الدين من البراعة التامة في العربية، فإن أمر التكلم في النصوص لا يتم إلا بهذا الخصوص، و أما العمل فيعني إصدار الكلام حسب القواعد العربية، و إن ترك العمل بالعربية ينطوي على قسمين :

أولهما إخلال بواجب البيان أي الإتيان بما يفسد الكلام و يبعده عن المرام، كجعل الفاعل منصوبا و المفعول مرفوعا في محل الإلتباس كما يقول القائل : ضرب زيدا عَمُرو، بدلاً من قوله : ضرب زيد عمروًا، و إنما قيدنا بمحل الإلتباس إذ حيث لا لبس لم يكن إخلالٌ بواجب البيان، و إنما يكون من القسم الثاني كقولك شرب الماء زيداً حيث أحاط السامع بسياق الكلام (٢)، بل قد لا يكون من الآتي أيضاً حيث بني على نكتة بديعية كما هو المذهب الراجح للبديعيين في القلب و منه قوله : ((كما طينت

---

(١) سورة الرحمٰن ٥٥/٣، ٤۔

(٢) قيد به لأنه لولاه لاحتمل الحمل على (قتل شرب الماء زيداً) فيكون من باب المشاكلة أي كل يوم كان زيد يشرب الماء و اليوم شرب الماء زيداً حفظه ربه (تعليق المصنف)

بالفدن السباعا))۔

و من هنا فالقسم الأول بلا أدنى شك مذموم و غير محبب، و من يتعود به يلام لإتيانه بالعيب، أما القسم الثاني حيث لا يتغير المراد و لا يفسد الكلام فلا يعتبر إخلالا بمقاييس البيان و إن كان إخلالا بواجب العربية، فإن مقصود البيان أو بيان المقصود حاصل بالرغم من فقد الإتباع لقواعد اللغة العربية، مثال ذلك أن يأتي أحد بالضاد مكسوراً، أو بالراء مضموما، أو بالباء ساكناً حين نطقه بكلمة (ضرب) هذا و قد ذهب علماؤنا إلى أن إتيان الفتحة على الباء بدلاً من الضمة فى كلمة (نعبد) لا يبطل الصلاة، إلا أن من قرأ الفتحة على كلمة ((الضالين)) فإن صلاته تبطل و ذلك لتغير المعنى على ما ذكر العلامة الشر نبلالي في ((تيسير المقاصد شرح نظم الفرايد)) حيث قال : المصلي إذا لحن في قرائته لحنا يغير المعنى كفتح لام الضالين لاتجوز صلاته، ثم قال : إذا لحن ولم يغير المعنى كفتح باء (نعبد) أو كسرها لا تفسد إلخ۔

قلت : إن في الأولى نظر لمن تأمل و نظر، والإعتياد بهذا النوع من اللحن بالرغم من علم الناطق و مقدرته لا ينافي الفضل و الكمال، و ترك العمل لا يدل على عدم العلم، و على سبيل المثال نقول : إن إماما في فن السباحة إذا لم يسبح طوال حياته حتى عند الضرورة بل استخدم القوارب فإن صنيعه هذا لاينافى علمه و قدرته۔

ثم إن عرب الحرمين الطيبين ۔ زادهما اللّٰه زينا بعد زين۔ و البلاد العربية الأخرى منذ أزمان متطاولة يأتون في حواراتهم اليومية ببعض عبارات لا توافق قواعد اللغة العربية وهذه الظاهرة تشمل العامة و الخواص حتى العلماء الكبار و الفصحاء الأجلاء، و مع ذلك لا يعابون بالجهل أو العجز، و لا يطعن في علمهم ولا في فصاحتهم۔

لقد سئل أعلم علماء مكة مفتى الحنفية الجليل سيدي عبد الله سراج المكي : إن بعض العرب يغيرون صوت القاف ﴿بما هو معروف فى اليمن و السعودية و السودان و صعيد مصر﴾ فهل تجوز الصلاة بهذه اللهجة؟ فرد عليه قائلاً: إن يقدر لا يجوز و إن لم يقدر يجوز۔ و من الجدير بالذكر أنه نطق القاف بنفس اللهجة المسؤول عنها۔ و من هنا فلا مجال للطعن في علم سراج الحرم (الشيخ عبد الله سراج المكي)۔

و نقدم إليكم نصا صريحا نقله سيدنا محمد بن عابدين الشامي ۔ قدس سره ۔ عن العلامة المحقق عمر بن نجيم المصري ۔ رحمه الله تعالىٰ ۔ و هو كالآتي : لا اعتبار للإعراب عند عامة المشايخ و هو الأصح، لأن العوام لا يميزون بين وجوه و الخواص لا يلتزمونه في مخاطباتهم، بل تلك صناعتهم و العرف لغتهم، و لذا ترى أهل العلم في مجاري كلامهم لا يلتزمونه (١)۔

لقد توفى هذا العلامة المحقق إلى رحمة ربه في العام الخامس بعد الألف للهجرة الشريفة، إنه لم يكن وحيداً في رأيه هذا بل سبقه الإمام المحقق على الإطلاق كمال الدين محمد بن الهمام قدس سره ۔ برأيه التالي : ((هذا الوجه يعم العوام و الخواص، لأن الخاصة لا تلتزم التكلم العرفى على صحة الإعراب، بل تلك صناعتهم، و العرف لغتهم، و لذا ترى أهل العلم في مجاز كلامهم لا يقيمون))۔ (٢)

إنه توفى إلى رحمة ربه فى الثامن من شهر رمضان عام واحد و ستين بعد ثمان مائة للهجرة النبوية، و من هنا عرفنا أن كبار العلماء منذ خمس مائة سنة تعودوا بعدم مراعاتهم للعربية في مخاطباتهم و حواراتهم اليومية، و هل هذا ينقص من شأنهم شيئاً؟ و العياذ بالله ، والله الهادي، وكنا نقصد من وراء هذا الحديث كله أن نكشف ستارا

---

(١) رد المحتار شرح در المختار (كتاب الطلاق ، باب الكنايات) للعلامة محمد بن عابدين الشامي، ج ٢ صفحة ٤٦٥ ۔(٢) فتح القدير، (كتاب الطلاق، فصل في الطلاق قبل الدخول)، للإمام كمال الدين محمد بن الهمام (ط : مكتبة نورية رضوية) ج ٣ صفحة ٣٩٩۔

عن أن مخالفة قوالب اللغة العربية ﴿في بعض الأحيان﴾ مع علمها و التمكن منها لا تستدعي الطعن، لذا نرى أن التركيز على الألفاظ ليس من دأب أهل العلم۔

النكتة الثانية

فى بيان عدم الإهتمام بقواعد الإعراب من طرف بعض الأئمة والعلماء الكبار و ثلاثين مثالاً لما أشرنا إليه

يا هذا أرى أن العلماء لا يبالون بالأمور الزوائد لشدة التفاتهم إلى أمر أهم و أعظم فإن اللفظ قالب و المعنى روح عندهم، والذي يتوجه إلى الروح لا يبالغ في الإهتمام بالقالب، و لما كان تركيزهم على المعنى أكثر كانت عنايتهم باللفظ ضئيلة، فإن المقصود يتمثل في التعبير عما بداخلهم، لذا يجد المطلع على كتب الحديث و الفقه و الأصول و غيرها من العلوم الكثير من المخالفات لقواعد اللغة العربية ينبه عليها الشراح وكتاب الحواشي بقصد تعليم الضعاف في اللغة دون تعمد إلى تخطئة السابقين، و هذا الفقير إلى ربه القدير يستطيع إنجازكتاب مبسوط في هذا الأمر بالتتبع و التفحص، ربما يذهب الجهال إلى أن هذا طعن في الأسلاف و العياذ بالله، مع أن هذا الصنيع لا ينقص من كرامتهم و منزلتهم شيئاً، إلا أن الإشارة إلى مثل هذا الأمر نظرا للضرورة مستحسنة و تدل على قصر النظر البشري، و أن الظن بالتهمة على السلف الكبار في مثل ما نحن بصدده ليس غير إساء ة الظن، و إن ذكر بعضها جدير و أحسن، فأقول و أعتذر إلى الكرام الكُمَّلَة مما دعتني إليه ضرورة الجهلة ۔

١۔ يقول الإمام الهمام مسلم بن حجاج النيسابوري في مقدمة صحيحه : ((صحبا أصحاب رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه و سلم من البدريين هلم جرا))

(١) وهنا لم يكن المحل للإتيان بكلمة ((هلم جرا)) يقول الإمام العلامة القاضي عياض معلقا على هذه الكلمة : ((ليس هذا موضع استعمال هلم جرا، لأنها إنما تستعمل فيما اتصل إلى زمان المتكلم بها)) (٢) و قرره بالنقل في المنهاج (٣) ـ

(٢) ـ و وردت في مقدمة صحيح مسلم العبارة التالية : ((فإن اسم الستر و الصدق و تعاطي العلم يشملهم (٤) و هكذ وردت كلمة الستر بكسر السين إلا أن الصحيح بالفتح، يقول الإمام أبو زكريا يحيى النووي شارحا هذه الكلمة : ((الستر هو بفتح السين مصدر سترت الشيء أستره سترا، و يوجد في أكثر الروايات و الأصول مضبوطاً بكسر السين (٥) و لو جردنا الصحيح من غيره بالنظر في بعض الروايات و الأصول و ذلك على سبيل الإفتراض لتبين لحن هؤلاء الرواة الجمهور، و المهم أن المقصود حاصل، و أما تأويل الإمام النووي بقوله : ((يمكن تصحيح هذا على أن الستر يكون بمعنى المستور كالذبح بمعنى المذبوح و نظائره (٦))) **فأقول** : لا يلائمه معطوفاً كما لا يخفي و إليه أشار الإمام بقوله : (يمكن) الدال على التمريض ـ

٣ ـ و ورد في صحيح مسلم ((أوقفت الخبر)) (٧) و جاء التعليق عليه في المنهاج كالآتي : كذا هو في الأصول ((أوقفت))، و هي لغة قليلة، و الفصيح المشهور ((وقفت)) بغير ألف (٨) ـ

(١) صحيح مسلم (باب صحة الإحتجاج بالحديث المعنعن) للإمام مسلم بن حجاج (ط : قديمي كتب خانه، كراتشي، دون سنة الطبع) ج١ صفحة٢٣ والعبارة في صحيح مسلم كالآتي : وهذ أبو عثمان النهدي و أبو رافع الصائغ و هما ممن أدرك الجاهلية و صحبا أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هلم جراً ـ

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (ط : دار الوفاء بيروت) ج١ صفحة١٨٢ـ

(٣) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي (ط : قديمي كتب خانه، كراتشي، دون سنة الطبع) ج ١ صفحة ٢٣ ـ(٤) المرجع السابق، ج ١ صفحة ٤(٥) المرجع السابق ، ج ١ صفحة ٤(٦) المرجع السابق ، ج ١ صفحة ٤ (٧) صحيح الإمام مسلم (باب صحة الإحتجاج بالحديث المعنعن) ج ١ صفحة ٢٢

(٨) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج ١ صفحة ٢٢ ـ

٤ ـ و قد وردت رواية في الصحيح البخاري، و سنن أبي داود، و الجامع للترمذي، و المجتبى للنسائي، و سنن ابن ماجه، و سنن الدارمي عن طريق منصور عن الأسود، عن أم المؤمنين عائشة رضي اللّٰه تعالىٰ عنها ـ ((كان يأمرني فأتزر)) (١) بإدغام الهمزة و تشديد التاء و علماء العربية لا يجيزونه، لقد ذهب الزمخشري إلى أن : ((قول من قال فأتزر خطأ)) (٢) و يرى ابن هشام أن : ((عوام المحدثين يحرفونه فيقرؤنه بألف و تاء مشددة ولا وجه له لأنه من الإزار، ففاؤه همزه ساكنة بعد همزة المضارع المفتوحة و يقول العلامة الطيبي : صوابه بهمزتين، و لعل الإدغام من الرواة (٣) و في مجمع بحار الأنوار : ((هو خطأ لأن الهمزة لا تدغم في التاء)) (٤) و في القاموس : ((لا تقل اتزر، و قد جاء في بعض الأحاديث، و لعله من تحريف الرواة)) (٥) و عندما وردت هذه الكلمة في منية المصلي كالآتي : ((إن الجنب إذا أتزر في الحمام إلخ)) (٦) علق عليها العلامة بن أمير الحاج بقوله : الذي تقتضيه القواعد أن يقال : ائتزر بهمزة ساكنة بعد همزة الوصل، قالوا :

---

(١) صحيح الإمام البخارى (كتاب الحيض باب مباشرة الحائض) (ط : قديمي كتب خانة، كراتشى، دون سنة الطبع) ج ١ صفحة ٤٤ ـسنن أبى داود (كتاب الطهارة، باب في الرجل يصيب منها إلخ) (ط : آفتاب عالم بريس، لاهور) ج ١ صفحة ٣٥ ـجامع الترمذي (أبواب الطهارة، باب ماجاء في مباشرة الحائض)

(ط : أمين كمبنى، دهلى) ج ١ صفحة ١٩ ـ

سنن ابن ماجه (أبواب الطهارة، باب ما جاء للرجل من امرأته الخ) (ط : أيج أيم سعيد كمبنى، كراتشي) ٤٦ ـ

سنن النسائي (اكتاب بدء الحيض والإستحاضة) ج ١ صفحة ٦٧ ـ

سنن الدارمي (باب مباشرة الحائض (ط : نشر السنة، ملتان) ج ١ صفحة١٩٤ ـ

(٢) المفصل في النحو (و من أصناف المشترك الإعتدال) للزمخشري، صفحة ٣٦١ـ

(٣) شرح الطيبي لمشكاة المصابيح (كتاب الطهارة باب الحيض) (ط : أدارة القرآن، كراتشي) ج ٢ صفحة١٣٧ ـ

(٤) مجمع بحار الأنوار (باب الهمزة مع الزاء) (ط : مكتبة دار الإيمان، بالمدينة المنورة) ج ١ صفحة ٧٢ ـ

(٥) القاموس المحيط (باب الراء فصل الهمزة) للفيروز آبادي (ط : مكتبة مصطفى الحلبي البابي بمصر) ج ١ صفحة٣٧٧ ـ

(٦) منية المصلي (ط : مكتبة قادرية، لاهور) ص ١٤٩

و لايجوز إبدال الياء (أي الحاصلة بقلب الهمزة) تاء إلخ ـ (١)

لا يجوز إدخال حرف الجر على هلم :

٥ـ إن من المعلوم اطلاع الإمام العلامة القاضي عياض اليحصبي على الأدب العربي و فنون الفصاحة و لكنه يقول : (من لدن الصحابة ـ رضوان اللّٰه تعالىٰ عليهم ـ إلى هلمّ جرا)) (٢) مع أن كلمة ((هلم)) لا تقبل إدخال حرف الجر عليها' الأمر الذي جعل الفاضل الأديب العلامة أحمد شهاب خفاجي يعلق على هذا التعبير بقوله : في كلامه شيء لم ينبهوا عليه' و هي إدخال إلى على هلم جرا مقابلة لمن الإبتدائية الداخلة على لدن' و هو غير مسموح بل غير صحيح' لأنها فعل في الحال أو الأصل على اللغتين' فكأنه حذف مجرورها وأصله (إلى وقتنا هذا، وهلم جرا) وهو صحيح أيضا غير جار على وفق كلامهم (٣)ـ

و وردت فيه عبارة أخرى كذلك : ((نحن و أنتم ننتفي من القول بالمال الذي ألزمتموه لنا)) (٤) بالأخذ في الإعتبار أن الإنتفاء صفة للمعاني لالرجال ـ

لا تستعمل كافة إلا حالا لذوى العقول و لا تضاف و لا تعرف بال :

٦ ـ وردت في نسيم الرياض العبارة الآتية : ((إلى ماروته الكافة عن الكافة)) (٥) و يقول كذلك الزمخشري الأديب في خطبة كتابه المفصل :

((محيط بكافة الأبواب)) (٦) إن الكلمة هذه وردت كذلك في الكشاف

---

(١) حلية المحلي شرح منية المصلي ـ

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي عياض (ط : شركة صحافية) ج٢ صفحة٢٠٧

(٣) نسيم الرياض' للإمام العلامة أحمد شهاب الدين خفاجي (ط : دار الفكر بيروت' دون سنة الطبع) ج ٤ صفحة ٣٣٦ ـ(٤) المرجع السابق' ج ٤ صفحة ٥٢٩ ـ

(٥) المرجع السابق' ١ صفحة ٤٢٢ ـ

(٦)المفصل' للزمخشري ' صفحة ٩

للزمخشري و خطبة الشاعر الشهير ابن نباته السعدي، مع أن علماء اللغة العربية صرحوا أنه لا يجوز تعريف هذه الكلمة ولا تصح إضافتها كما لا يصح إتيانها إلا حالا، يقول إمام النحاة سيبويه في هذا الشأن : ((إن كافة)) يلزم التنكير و النصب على الحالية، و قاطبة، وطرا، و نحوه ـ

و في نسيم الرياض عن كلمة كافة : ((و زاد غيره أنها لاتثني و لا تجمع و لا تطلق على غير العقلاء و لم يرد ذلك في كلام الله و لا كلام العرب، و وهم من استعملها على خلاف ذلك)) (١) ـ

و يقول الإمام النووي معلقاً على حديث سيدنا علي كرم الله وجهه : ((ما خصنا رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم بشي ء لم يعم به الناس كافة)) (٢) هكذا تستعمل كافة حالا، و أما ما يقع في كثير من كتب المصنفين من استعمالها مضافة، و بالتعريف كقولهم هذا قول كافة العلماء، و مذهب الكافة فهو خطأ معدود في لحن العوام و تحريفهم ـ

لا يدخل أل على ((مرة)) :

٧ ـ يقول الإمام البيهقي عن أثر ابن عباس : في كل أرض أدم: ((شاذ بالمرة)) (٣) و هذه الكلمة تكررت عند غيره من المحدثين بهذه الصورة الخاطئة، يقول العلامة العدوي : إدخال أل على مرة لغة أعجمية صيرت إلى العرب (٤) ـ

٨ ـ و قد وردت كلمة عرض بالضاد المعجمة بدلا من الصاد المهملة، يقول العلامة مجد الدين الفيروز آبادي في هذا الصدد : العرض : و المحدثون يلحنون فيعجمون

---

(١) نسيم الرياض، للخفاجي، ج ١ صفحة ٤٢٢ـ

(٢) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ٢ صفحة ١٦١

(٣) كشف الخفاء و مزيل الإلباس (ط : مؤسة الرسالة بيروت) ج ١ صفحة ١٢٣ ـ

(٤) حاشية الُخضري على ابن عقيل ـ

الصاد (١)۔

النسب إلى اثني عشر باثني عشرية نسبة باطلة :

٩ ۔ و هناك مسائل فقهية يبلغ عددها اثنتي عشرة مسألة كلها تتعلق بأمور عارضة تبطل الصلاة عند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان و لا تفسدها على رأي الصاحبين، و هذه المسائل اشتهرت على لسان الفقهاء بالمسائل الإثني عشرية، مع أن قواعد اللغة العربية لا تجيز هذه النسبة بهذا الشكل فقد ورد في البحر الرائق فالنهر الفائق ثم ردالمحتار في هذا الصدد ما يأتي : اشتهرت هذه النسبة و هي خطأ عند أهل العربية، لأن العدد المركب العلمي لا ينسب إليه (٢) و يقول العلامة الطحطاوي عن هذه النسبة : هي مشهورة عندهم بهذه النسبة إلا أن هذا الاستعمال غير جائز من حيث العربية (٣)۔

كلمة الصلاتية غلط و الصحيح صلوية :

١٠ ۔ إن عامة العلماء يشيرون إلى نوع من أنواع السجدة بالصلاتية و لا يكاد كتاب من كتب الفقه يخلو عن هذه الكلمة، إلا أن الكلمة الصحيحة هي ((الصلوية)) دون ((الصلاتية)) و إلى هذا أشار المحقق على الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام و العلامة غزي في منح الغفار كما هو رأي غير هما من العلماء الكبار، و إليكم نص العالمين الجليلين : ((و هذا لفظ المحقق صواب، النسبة فيه صلوية برد ألفه واوا، أو حذف التاء، و إذا كانوا حذفوها في نسبة المذكر إلى المؤنث كنسبة الرجل إلى بصرة مثلاً فقالوا : بصري لا بصرتي كيلا تجتمع تاء ان في نسبة المؤنث فيقولون :

---

(١) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ج ٢ صفحة ٣١٩۔

(٢) ردالمحتار (كتاب الصلاة باب الإستخلاف) للعلامة ابن عابدين الشامي، ٤٠٧، ٤٠٨

(٣) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح (ط : دار المعرفة بيروت) ج ١ صفحة ٢٥٨ ۔

بصرتية، فكيف بنسبة المؤنث إلى المؤنث (١) ـ

استخدام كلمة الشفعوية غلط :

١١ ـ إن أكثر الأئمة المتقدمين يستخدمون كلمة الشفعوية بدلا من الشافعية ـ

يقول الإمام طاهر بن عبد الرشيد البخاري : ((الإقتداء بشفعوى المذهب يجوز إن لم يكن متعصبا)) (٢) إلخ و يقول كذلك أستاذه الإمام و الفقيه الأجل قاضي خان في الفتاوى القاضي خانية : ((أما الإقتداء بشفعوى المذهب قالوا لا بأس به)) (٣) و هذه الكلمة وردت كذلك في خزانة المفتين و غيره في الكثير من الكتب، كما وردت في أكثر نسخ الهداية العبارة التالية : ((دلت المسألة على جواز الإقتداء بشفعوية)) (٤) مع أن النسبة إلى الشافعي ليست غير الشافعي، نبه عليه شراح الهداية حيث قالوا : وقع في بعض نسخها الشافعية و هو الصواب، لما عرف من وجوب حذف ياء النسبة إذا نسب إلى ما هي فيه و وضع الياء الثانية مكانها حتى تتحد الصورة قبل النسبة الثانية و بعدها، و التمييز حينئذ من خارج، فالياء المشددة فيه ياء النسبة (٥) لا أخر الكلمة ككرسي، هذا لفظ البحر (٦) و مثله في الفتح و غيره ـ

---

(١) فتح القدير (كتاب الصلاة باب سجود التلاوة) للإمام محمد كمال الدين بن الهمام، ج ١ صفحة ٤٦٩ ـ

(٢) فتاوى الخلاصة (كتاب الصلاة، الفصل الخامس عشر فى الإمامة والاقتداء) للإمام طاهر بن عبدالرشيد البخاري (ط : مكتبة حبيبيه، كويته، باكستان) ج١ صفحة١٤٩

(٣) الفتاوى للإمام قاضي خان (فصل فيمن يصح الإقتداء به) (ط : نولكشور، لكنو) ج ١ صفحة ٤٣ ـ

(٤) الهداية (باب صلاة الوتر) للمرغيناني (ط : المكتبة العربية، كراتشي) ج ١ صفحة ١٢٥

(٥) **أقول**: الأولى أن يقول : ((ياء هذه النسبة)) ليحترز عن التى كانت قبلها و ذلك لأن ماقبلها أيضا قد تكون ياء النسبة، و إن قلنا على خلاف العرف نظرا إلى اتحاد الكلمتين : أنها ياء آخر الكلمة، بيد أن المعنى واضح (تعليق المصنف)

(٦) البحر الرائق (باب الوتر و النوافل) لابن نجيم المصري (ط : شركة أيج أيم سعيد، كراتشي) ج ٢ صفحة ٤٥ ـ

كلمة المصطفوية من الغلط العام :

١٢ ـ وردت كلمة المصطفوية في تصانيف أعاظم العلماء، يقول إمام الأدباء و المحدثين أبو الفضل جلال الدين السيوطي: ((من الحكم المصطفوية صنوفًا)) (١) إلخ ـ

يقول العلامة محمد عبد الباقي الزرقاني في مستهل خطبته لشرح المواهب اللدنية : ((جواهر استخرجتها من قاموس الحكم المصطفوية)) (٢) مع أن الألف بإجماع أهل العربية تسقط من كلمة المصطفٰى عند النسبة و لا تتحول إلى الواو، فقد ورد في الجاربردي : ((قول العامة مصطفوي غلط و الصواب مصطفى))ـ

١٣ ـ يقول الإمام الكردري في كتاب المناقب ضمن وصايا الإمام رضي الله عنه ـ (أذدري ذلك بعلمك)) (٣) و ورد كذلك في الأشباه و النظائر حيث إن سيدي أحمد الحموي يقول : و الصواب أزري ذلك بعلمك (٤)ـ

١٤ ـ و وردت في هذه الوصايا العبارة الآتية : ((لا تخرج إلى النظارات)) (٥) و ذهب صاحب القاموس إلى أن : ((النظارة ـ بألتخفيف ـ بمعنى التنزه لحن يستعمله بعض الفقهاء)) (٦)ـ

١٥ ـ يقول الإمام الأوحد في الفقه و أصوله و الأدب العربي الإمام الأجل علي بن أبي بكر الفرغاني : ((فرائض الصلاة ستة) (٧) علق عليه المحقق على

---

(١) الجامع الصغير للإمام جلال الدين السيوطي (ط : دار الكتب العلمية بيروت) ج ١ صفحة ٢ (مقدمة)

(٢)شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (ط : دار المعرفة، بيروت) ج ١ صفحة ٢ ـ

(٣) مناقب الإمام الأعظم، للكردري (ط : مكتبة إسلامية ، كويته، باكستان) ج ٢ صفحة ٩٥ ـ

(٤) غمز العيون البصائر مع الأشباه و النظائر، للحموي، (ط : إدارة القرآن، كراتشي) ج ٢ صفحة ٣٢٥ ـ

(٥) المرجع السابق، ج ٢ صفحة ٣٢٨ ـ(٦) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ج ٢ صفحة ١٥٠ ـ

(٧) الهداية، للمرغيناني، ج ١ صفحة ٨٢

الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام بقوله : ((لا يخلو عن شيء لأنه إن اعتبر أحاد الفرائض فريضة لم تجز التاء في عدده، و إن اعتبر فرضا لم يكن ذلك جمعه لأن فعائل إنما يطرد في كل رباعي ثالثه مدة مؤنث بالتاء كسحابة و صحيفة و حلوبة أو بالمعنى كشمال و عجوز و سعيد علم امرأة إلخ (١) ـ

١٦ ـ و في كتاب الديات من الهداية قول المصنف : ((قالا و زفر و الحسن يقص من الأولى)) (٢) علق على هذه العبارة العلامة أكمل الدين البابرتي قائلاً : ((هذا التركيب غير جائز و لو قال : قالا هما و زفر لكان صواباً (٣) ـ

١٧ ـ و في كتاب الإجارات من الهداية وردت العبارة الآتية : ((يجوز طالت المدة أو قصرت لكونها معلومة و لتحقق الحاجة إليها عسى)) (٤) علق العلامة بدر الدين محمود علي استخدام كلمة عسى بقوله : ((كلمة عسى ههنا وقع مجرداً عن الإسم و الخبر تقديره عسى الإحتياج إلى المدة الطويلة يقع، و أهل العربية يأبون ذلك)) (٥) ـ

١٨ ـ و قد ورد في جواب أما أن إسقاط الفاء من عادة العرب يجده الناظر في مواضع لا تحصي و في هذا يقول الرضي: ((وجب الفاء في جواب أما ...... و لا يحذف ﴿أي الفاء﴾ في جواب أما إلا لضرورة نحو قوله : أما الصدود لا صدود لديكم (٦))) ـ

---

(١)فتح القدير للإمام كمال الدين محمد ابن الهمام، ج ١ صفحة ٢٣٩ ـ

(٢) الهداية (فصل في أصابع اليد)، للمرغيناني، ج ٤ صفحة ٥٩١ ـ

(٣) فتح القدير، للإمام محمد ابن الهمام ، ج ١ صفحة ٢٢٧ ـ

(٤) الهداية (فصل في كتاب الإجارات) للمرغيناني، ج ٣ صفحة ٢٩١ ـ

(٥) البناية شرح الهداية، للعلامة بدر الدين العيني (ط : المكتبة الإمدادية مكة المكرمة) ج ٣ صفحة ٦٢٥ ـ

(٦) شرح الكافية ، للشيخ رضي الدين (ط : دار الكتب العلمية، بيروت) ج ٢ صفحة ٣٩١ ـ

١٩ ـ يقول العلامة سيدي عبد الرؤف المناوي في خطبة كتابه : ((جمعت فيه زهاء عشرة آلاف حديث في عشرة كراريس، كل كراس ألف حديث))(١) و قال العلامة المحقق زين بن إبراهيم بن نجيم في كتابه ضوابط و قواعد : ((اختصرت في هذا الكراس إلخ)) (٢) علق على استخدامه كلمة الكراس العلامة سيدي أحمد المصري بقوله : ((فيه أنه لا يقال في الواحد كراس، و إنما يقال كراسة (٣))) ـ

٢٠ ـ و قال ابن نجيم : ((أما بقضاء القاضي لا)) (٤) علق عليه العلامة أحمد الطحاوي المصري بقوله : كان حقها أن تقترن بالفاء، و من ثم توهم بعض أرباب الحواشي، و حمل كلام المصري على غير ما أراد، و اللّٰه المستعان (٥)ـ

٢١ ـ و في مستهل هذا الكتاب قول المصنف : منها (أي من القواعد) سبعة (٦) علق عليه الشارح قائلاً : كان الصواب أن يقول سبعا لأن المعدود مؤنث (٧)ـ

٢٢ ـ يقول أخوه الأصغر و تلميذه الأكبر العلامة عمر :

وفاسد من العقود عشر إجارة و حكم هذا الأجرـ

أقول : العقد مذكر و قد كان النظم يحتمل العشرة و إبدال قرينه بالأجرةـ

٢٣ ـ يقول الأديب الفقيه و المحقق الأديب سيدي علائي محمد الدمشقي في شرح متن غزي : ((السكوت كالنطق إلا في مسائل عد منها سبعة و

---

(١) كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق، للعلامة عبد الرؤف المناوي (دار الكتب العلمية ، بيروت) ج ١ صفحة ٥ (مقدمة الكتاب) ـ (٢) الأشباه و النظائر ، ج ٢ صفحة ٣٢٢ ـ

(٣) غمز العيون البصائر شرح الأشباه و النظائر ، ج ٢ صفحة ٣٢٢ـ(٤) الأشباه و النظائر ، ج ٢ صفحة ٩٤ ـ

(٥) غمز العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر، ج ٢ صفحة ٩٤ـ

(٦) الأشباه و النظائر ، ج ١ صفحة ١٧ (خطبة الكتاب)ـ(٧) غمز عيون البصائر شرح الأشباه و النظائر، ج ١ ص ١٧ـ

(٨) درمختار (كتاب الوقف) (ط: مجتبائي دهلي دون سنة الطبع) ج ١ صفحة ٤٠٠ـ

ثلاثين إلخ)) (٨) ـ أقول : حقه سبعا لأن المعدود المسائل ـ

٢٤ ـ ورد فيه النص التالي : ((سننها ثلاثة و عشرون)) (١) إلخ ملخصا ـ أقول : بل ثلاث وعشرون و ما اعتذر به العلامة الحلبي، و أقره الشامي (٢) فينثلم بما أفاد في الغمز تحت قوله: سرد منها سبعة (٣) ـ

٢٥ ـ و نجد فيه : ((في الحديث من قرأ الإخلاص أحد عشر مرة)) (٤) علق عليه المصحح بقوله : صوابه إحدى عشرة مرة كما لا يخفي (٥) أقول : إن المروي في الحديث صحيح و لا يعارض القواعد النحوية، رواه الدار قطني و الطبراني و السلفي، كلهم عن سيدنا علي كرم اللّٰه تعالىٰ وجهه مرفوعًا، أما المخالفة النحوية فقد نبعت من عدم الدقة في النقل ـ

٢٦، ٢٧ ـ ورد في ردالمحتار نقلا عن شرح اللباب : ((الإخلاص اثنى عشر مرة أو إحدى عشر)) (٦) علق عليه المصحح بقوله : ((هكذا بخطه، و صوابه اثنتي عشرة مرة)) (٧) أقول : وكذلك إحدى عشرة ـ

---

(١) المرجع السابق، ج ١ صفحة ٧٣ـ

(٢) قال الحلبي ثم الشامي : أنث لفظ العدد لحذف المعدود إلخ (ردالمختار، ج ١ صفحة ٣١٩) تعليق المصنف)

(٣) قال في الغمز (ج ١ صفحة ١٧) : كان الصواب أن يقول سبعا لأن المعدود مؤنث على ما هو القاعدة المشهورة لا يقال القاعدة مقيدة بما إذا كان المميز مذكوراً بعد العدد و أما إذا حذف أو قدر فيجوز حينئذ في اسم العدد إلحاق التاء و حذفها، لأنا نقول ما ذكر من جواز التاء و عددها أذا كان المميز الأيام وجدها، و أما إذا كان غير الأيام فالوجه مطابقة القاعدة الأصلية من إثبات التاء في المذكر و حذفها في المؤنث، و أما إذا كانت الأيام مع الليالي فالمسموع حذف التاء تغليبا الليالي، كذا قرره الإمام السبكي في رسالته إبراز الحكم قال : و في كلام سيبويه و ابن مالك ما يدل عليه، انتهى فليحفظ ﴿تعليق العلامة المصنف﴾ـ(٤) الدرالمختار (باب صلاة الجنائز) ج ١ صفحة ١٢٦ـ

(٥) رد المحتار، للعلامة محمد بن عابدين الشامي، ج ١ صفحة ٦٠٥ (هامش)

(٦) المرجع السابق، ج ١ صفحة ٦٠٥ـ (٧) المرجع السابق، ج ١ صفحة ٦٠٥ (هامش)

(٨) منية المصلي (فصل في النجاسة)، صفحة ١١٢ـ

٢٨ ـ في المنية : ((ذكر في المحيط : الأظهر أن لا يعود نجساً)) (٨) و علق عليه صاحب الحلية بقوله : الوجه الظاهر أن يقال نجسة لأن البير مؤنثة سماعية (١)ـ

٢٩ ـ وفي المنية كذلك : ((و الفخذ مُغَطًّي)) (٢) علق عليه الشارح المحقق قائلاً : الوجه الظاهر أن يقول المصنف : ((و الفخذ مغطاة)) فإن الفخذ مؤنث (٣) ـ

٣٠ ـ ورد نص في القنية و الأشباه و الدرر و غيرها من الكتب واللفظ لابن نجيم : الخلوة بالمحرم مباحة إلا الأخت رضاعا و العهرة الشابة (٤) ـ

يقول العلامة أحمد الحموي بعد قيامه بالبحث في معنى كلمة ((الصهر)) : فعلى هذا لا يقال الصهرة على كل حال إلخ(٥) قلت : و ظني أنه من المحدثات لا تكاد العرب تعرفه ـ

هل يستطيع أحد بعد النظر فيما ذكرناه آنفا و فيما يماثله أن يطعن في كمال فضل العلماء الكاملين و فضل كمال الأئمة المحدثين، و الفقهاء، و الأصوليين أمثال الإمام مسلم، و الإمام البيهقي، و الإمام قاضي عياض، و عامة رواة الصحيح للإمام مسلم، و أجلة رجال الصحاح الستة، و الإمام قاضي خان، و الإمام صدر الشريعة، و الإمام الكردري، و الإمام السيوطي، و العلامة المناوي، و العلامة الزرقاني، و العلامة علي القاري، و أئمة الهدى مصنفي الهداية، و الخلاصة، و الخزانه، و المنية، و البحر، و النهر، و الدر، و أجلة الأدباء كالزمخشري، و الزاهدي، وابن نباته ـ

لقد قام الإمام أبوسليمان الخطابي بتغليط استخدامهم كلمة وردت في

---

(١) التعليق المجلي بهامش منية المصلي، صفحة ١٧٧ـ

(٢) منية المصلي، صفحة ١٧٧ ـ

(٣) التعليق المجلي بهامش منية المصلي، صفحة ١٧٧ ـ

(٤) الأشباه و النظائر، ج ٢ صفحة ١١١ ـ

(٥) غمز عيون البصائر شرح الأشباه و النظائر، ج ٢ صفحة ١١١ـ

الحديث : اللهم إني أعوذ بك من الخبث إلخ حيث قال عامة المحدثين : يقولون الخبث بإسكان الباء و هو غلط (١) و الصواب الضم (٢)۔

و تحدث الإمام أبو زكريا يحيى النووي عن بعض الأسماء كعمرو بن العاص، و شداد بن الهاد، و ابن أبي الموال حيث قال : أما العاص فأكثر ما يأتي في كتب الحديث و الفقه و نحوها بحذف الياء و هي لغة و الفصيح الصحيح العاصي (٣) بإثبات الياء وكذلك شداد بن الهادي، و ابن أبي الموالي، فالفصيح الصحيح في كل ذلك و ما أشبهه إثبات الياء، ولا اغترار بوجوده في كتب الحديث، و أكثرها بحذفها(٤)۔

يقول العلامة الزرقاني : العاصي بالياء و حذفها، و الصحيح ﴿هو﴾ الأول عند أهل العربية، و هو قول الجمهور كما قال النووي و غيره، و في تبصير المتنبه قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : سمت المبرد يقول : هو بالياء، لا يجوز حذفها، و قد لهجت العامة بحذفها قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة إلخ ۔ (٥)

إن كثيرا من الشراح يوجهون النقد إلى عبارات المصنفين من الناحية العربية كما سبق أن ذكرنا الأمثلة، و من هنا نسأل هؤلاء الشراح هل مآخذهم على عبارات المصنفين تدل على نقصهم و قصر باعهم في العربية؟ فإننا نجدهم يستنكرون هذا

---

(١) أقول : ليس بغلط بل هي قاعدة مطردة في أمثاله مثل كتب و رسل و نكر و غيرها، و بهما قريء في السبع المتواترات ﴿تعليق المصنف﴾

(٢) معالم السنن لأبي سليمان الخطابي، (ط : المكتبة الأثرية، سانكله باكستان) ج ١ صفحه ١٦)۔

(٣) أقول : و الصواب عندي أن كليهما صحيح فصيح، حذف الياء و إثباتها، و بهما قريء في السبع يوم التلاق ، يوم التناد، يوم يدع الداع، بل الإكتفاء عن الياء بالكسرة بل عن حروف المد بالحركات باب واسع في لغة العرب، قال تعالىٰ : يخاف وعيد، يا عباد فاتقون، ذلك ما كنا نبغ، و عليه في القنية : جواز الصلاة بقوله : أعُذُ باللّٰه مكان أعوذ، و تعال جدك مكان تعالىٰ ﴿تعليق المصنف﴾ ۔(٤) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١ صفحه ١٠ ۔

(٥) شرح الزرقاني للمواهب اللدنية (ط : دار المعرفة، بيروت) ج ١ صفحه ٢٩۔

السؤال معترفين بغزارة علم هؤلاء المصنفين و كمالهم في العلوم الإسلامية و العربية، و رفعة مكانتهم من بين أهل العلم و ذلك بسبب أن الهمم العالية لهؤلاء الأعلام تركزت على المعاني و لم تهتم بالزوائد، و إلا فلا يمكننا أن نعتقد عدم تمكنهم من الإتيان بالعبارات الصحيحة و العياذ بالله سبحانه و تعالىٰ ـ

يحدثنا العلامة سعد الدين التفتازاني عن الإمام الأجل صدر الشريعة الثاني عبيد الله بن مسعود قائلاً : المصنف (١) كثيرا ما يتسامح في صلات الأفعال ميلا منه إلى جانب المعنى (٢) ـ

يتحدث الإمام على بن أبي بكر عن صاحب الهداية فيقول : إنه لا يذكر الفاء في جواب أما اعتمادا على ظهور المعنى (٣) ـ

يقول العلامة الطحطاوي : الفقهاء يغتفرون عطف المستثنى المنقطع على المتصل و عكسه ، إذ ليس المقام إلا لإفادة الأحكام (٤) و إنه يقول ضمن كتاب الشفعة : ((إن الألفاظ قوالب مالها عبرة، إنما العبرة للمدعي)) ـ

يا هذا، إذا كان استفناء العلماء عن الزوائد لإشتغالهم بالمعنى فما بال الأولياء الصالحين قدست أسرارهم الذين بلغت ميولهم إلى المعاني إلى القمة، و في هذا المعنى يحدثنا العارف بالله المولوي جلال الدين الرومي قدس سره و هو يقول: إن مخ العلم كبير و قشره صغير، فعند ما يكبر مخ العلم يرق قشره ويصبح كالمعدوم، فإنك ترى اللوز و الجوز و الفستق يرق قشره عندما يكبر لبه، و كذلك فإن العاشق يزداد

(١) أقول : حروف المعاني تقوم بعضها مقام بعض كما في الصحاح، و التضمين باب واسع في كلام العرب ﴿تعليق المصنف﴾

(٢) التوضيح و التلويح، للعلامة سعد الدين التفتازاني (ط : نوراني كتب خانة، بشاور) صفحه ١٠ ـ

(٣) مفتاح السعادة، للإمام علي بن أبي بكر ـ

(٤) حاشية الدر المختار، للعلامة الطحطاوي (ط : دار المعرفة، بيروت) ج ١ صفحه ٩٣ ـ

فناؤه كلما كبر الحب في داخله، و المحب لله تعالىٰ عند ما تتمكن من لبه أوصاف القديم الخالق تفني كنتيجتها أوصاف المخلوق الحادث فإن الإحتفاظ بتواضع الجسد عند امتلاء الروح و استغنائها كالجمع بين الضدين و هما لا يتمشيان معا، و عند ما يتمتع الإنسان بحلاوة وصل الحبيب لا يأبه بالوسيلة التي أوصلته إلى تلك الحلاوة۔

جعلنا الله منهم و رحمنا بهم آمين ثم آمين۔

النكتة الثالثة

في حال كون اللغة العربية غير اللغة للعالم

إن العالم الذي هو من أصل عربي لا يحتاج إلى التركيز على القواعد في لغته الأم، أما إذا كان العالم ﴿ البارع في العلوم الإسلامية و العربية ﴾ غير عربي بالإضافة إلى عدم تركيزه على اللغة العربية ﴿مثل الإمام مسلم، و الإمام البيهقي، و الإمام الفرغاني، و غيرهم رحمهم اللّٰه تعالىٰ ۔ ﴾ فإن وقوعه في الخطأ اللغوي ممكن، مع الأخذ في الإعتبار أن هذا الأمر لا يدل على عدم علمه باللغة العربية، و لا يجعله في محل الطعن۔

هل يجوز الإستدلال بالحديث النبوي الشريف على العربية أم لا ؟

يا هذا إن علماء العربية مختلفون في أمر الإستدلال بالحديث النبوي الشريف على العربية، فإن بعضهم لا يعتبرونه حجة في هذا الأمر، و ذلك لأن الرواة إذا كانوا من العرب فالحديث المروي عنهم حجة و إلا فلا، لأن النقل بالمعنى أمر شائع، و في هذا يقول المحقق على الإطلاق كمال الدين محمد بن الهمام :

((في المسألة (أي مسألة الإستدلال بالحديث على العربية) ثلاثة مذاهب : الإطلاق، و المنع، و التفصيل بين كون الراوي عربيا فنعم، أو عجمياً فلا (١) و على هذين المذهبين لا تكون مرويات سيدنا سلمان الفارسي، و بلال الحبشي، و صهيب الرومي صالحة للاحتجاج بها، **أقول :** و يجب استثناء جوامع الكلم، فليس للنقل

(١) فتح القدير، للإمام ابن الهمام، ج ١ صفحه ١١ ۔

بالمعنى إليها من سبيل، و ماذا يلحق من شين بالصحابة الثلاثة المذكورين آنفا نظرا لكونهم غير العرب، و عدم صلاحية الإستدلال على العربية بمروياتهم؟

يا هذا لقد استخدم الإمام البخاري عليه رحمة العزيز الباري ـ و الذي كان من أصل فارسي كلمة ((هم)) الفارسية مكان كلمة ((أيضاً)) في عبارته العربية و رويت عنه كذلك حيث قال : ((يزاد في هذا الباب هم ﴿ كلمة فارسية بمعنى أيضاً ﴾ حديث مالك عن ابن شهاب، و لكني أريد أدخل فيه غير معاد (١) و من الواضح أن الإتيان بكلمة فارسية في العبارة العربية أكثر من عدم الإلتزام بالقواعد العربية، فهل هذا الخطأ يقلل من قيمة الإمام البخاري؟

يا هذا ! يحدثنا الإمام علي بن المديني أستاذ الإمام البخاري عن الإمام الأجل و شيخ المحدثين الأعلام وكيع بن الجراح أنه كان يلحن، ولو ذكرت لك تلك الألفاظ تصاب بالدهشة و الاستغراب، فقد كان ينطق عيشة بدلا من كلمة عائشة علما على أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي اللّٰه تعالىٰ عنها ـ و في هذا يقول الإمام الذهبي : وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرواسي الكوفي، الحافظ، أحد الأئمة الأعلام، قال ابن المديني : كان وكيع يلحن ولو حدثت بألفاظه لكانت عجبا، كان يقول : حدثنا الشعبي عن عيشة(٢) ـ

يا هذا ! لقد توجه بعض المخالفين بالطعن في عربية الإمام الأجل أعظم الأمة الإمام أبي حنيفة رضي اللّٰه تعالىٰ عنه ـ و هذا الطعن مع الرد عليه مذكور في التاريخ لابن خلكان و غيره من كتب التاريخ، ولو افترضنا ضعف الإمام أبي حنيفة في العربية فلا يرجع ذلك إلا إلى عدم اهتمامه بها نظراً للإشتغال بالمعنى، و لا يخطر ببال أحد ولو

---

(١) صحيح البخاري (كتاب المناسك باب التعجيل إلى الموقف) ج ١ صفحه ٢٢٦ ـ

(٢) ميزان الإعتدال (ترجمة رقم ٩٣٥٦، وكيع بن الجراح)، للذهبي (ط دار المعرفة، بيروت) ج ٤ صفحه ٣٣٤، ٣٣٥

أجهل الناس أن الإمام أبا حنيفة النعمان كان قليل الإلمام بالعربية ، بل كان إماماً جليلاً بارعاً في علوم العربية أيضاً ـ

يا هذا ! ما سبب عدم الثقة في عربية الشعراء المولدين؟ إذ لا نجد عندهم قلة الإهتمام باللغة العربية، بل نجد أن همم الشعراء و الخطباء خاصة المتأخرين منهم مركزة على الألفاظ، و لكنهم مع هذا لا يعتبرون من العرب الخُلص فما سبب عدم الثقة في عربيتهم مع أنهم ليسوا بخارجين من العرب؟ و من هنا نقول عن أئمة الدين غير المشغوفين بالألفاظ و الذين يرون الإشتغال بالألفاظ أمراً مذموماً غير مهم : إنهم لو قللوا الإهتمام بقواعد العربية فهل جاؤا بما يثير الطعن في عربيتهم؟

النكتة الرابعة

في أقسام الفن و أحكامه

التي يجعلها المتكلم فيها نصب عينيه

أقول و بالله التوفيق : إن الإنسان عند حديثه في فن من الفنون يجعل حديثه في أربعة أقسام تالية :

القسم الأول : و هو المقصود بالذات من كل الوجوه يتمثل في المعاني التي يعتبرها المتكلم فيها مقاصد الفن الذي هو بصدده، و يسوق الكلام خصيصاً من أجل تلك المعاني كمسائل الصلاة في باب الصلاة، و مسائل الصوم في باب الصوم ـ

القسم الثانى : مقصود بالذات من ناحية عموم المراد، و مقصود بالغير من حيث خصوص المقام، النوع الأول يتمثل في تلك المعاني التي هي من مقاصد الفن في حد ذاتها و لكن الكلام لم يسق من أجلها، و مثال ذلك ورود بعض مسائل الصوم ضمن الأدلة و الشواهد في كتاب الصلاة وكذلك بالعكس، فإن مسائل الصوم في حقيقة الأمر و في حد ذاتها من مقاصد الفقه و لكن ورودها في كتاب الصلاة أمر تبع و ليس من مقاصد كتاب الصلاة، و القاريء الكريم يجد أمثال النوعين المذكورين ضمن القسم الثاني كثيرا في تعليلات ((الهداية)) وغيره من الكتب المعللة ـ

القسم الثالث : أمور ليست من مقاصد الفن الأصلية بل هي مقصودة بالذات، كورود الأحاديث في كتب الفقه، أو ذكر مسائل الفقه في كتب الأصول و الحديث، و القاريء، الكريم يجد أمثال القسم الثالث في جامع الترمذي بكثرة، وفي صحيح البخاري بقلة، وفي كتب الأصول ضمن الأمثلة و النظائر بوفرة ـ

القسم الرابع : أمور ليست من المقاصد الأصلية و لا من التبعية أصلاً، إنما هي آلة لبيان المطالب الأصلية و التبعية و هي الألفاظ ـ

كتب الفروع تفوق كتب الأصول :

انظر أيها القاريء الكريم إلى الآثار التي ترتبت على قلة الإلتفات من منظور القسم الثاني و الثالث و في هذا يقول العلامة سيدي أحمد الحموي : لا عبرة بما في كتب الأصول إذا خالف ما ذكر في كتب الفروع كما صرحوا به (١) ـ

ذكر المسألة في غير بابها مظنة التساهل :

لقد صرح (العلامة أحمد الحموي) كذلك بأن الحكم المذكور في بابه أولى من المذكور في غير بابه و الذي يخالف الحكم المذكور في بابه ـ (٢)

ورد في الدرالمنتقى ثم في رد المحتار ما يلي : استفيد منه أن الحكم المذكور في بابه أولى من المذكور في غير بابه،

لأنه كأنه استطراد هكذا أفادنيه والدي فليحفظ ـ ا هـ

و جاء في حاشية الطحطاوي مايلي : الذي يظهر أن ما هنا هو المعول عليه، لأن ذكر الشيء في غير محله قد يتساهل فيه (٣) ـ

مما يستدعي التفكير أن التنازل عن القسم الثاني و الثالث (المذكورين آنفاً) يؤدي إلى التساهل، فلا بد أن يكون القسم الرابع موضع الإهمال و التساهل، لذا لا نرى الضعف في الألفاظ من آداب المحصلين، و لا يعاب المصنف بسبب هذا الضعف، كما أننا لانقول بناء على عدم التنقيح في المسائل الفرعية الواردة في كتب أصول

(١) غمز العيون و البصائر شرح الأشباه و النظائر، ج ١ صفحه ٢٤٥ ـ

(٢) رد المحتار، للعلامة ابن عابدين الشامي، ج ٣ صفحه ١٥٢ ـ

(٣) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ـ

الفقه أن المصنف غير فقيه، أو أن كتبه الفقهية لا تبلغ مبلغ الإعتبار، و إن نظير القسم الثاني موضع للمرام للغاية، و قد تقرر أن يكون كلام هذا العالم المذكور في غير الباب مرجوحاً نظرا للتساهل، ولو كان هذا الكلام من هذا العالم دالا على عدم دقته فكيف يكون كلامه الأخر المذكور في الباب مستنداً ؟

من هنا نستطيع القول : إن عدم الإهتمام بقواعد العربية من طرف العلماء (في بعض الأحيان) ليس إلا بسبب التساهل، و هذا الأمر لا يثير الغرابة و الإستعجاب وكذلك لا ينافي جلالتهم العلمية و فضلهم العميم۔

النكتة الخامسة

الضرورات الشعرية و آفاقها الواسعة

و ذ م الإنغماس فيها

لقد كان الكلام كله في النثر فما بال النظم حيث إن مجال الشعر ضيق للغاية، و لا يمكن المشي في هذا المجال إلا بصرف الهمة تجاه أمور الشعر الزوائد على وجه الخصوص، و الذي لم ينظم الشعر و لم يتآلف بهذا الفن و لم ينظر فيه لا يعرف ما في الشعر من ضيق المجال و عسر المقال و بعد المنال، لذا جاء الشعراء المفلقون و السحرة المؤلفون بأمور في نظمهم و التي تشوه حلية الفصاحة و تبطل قوانين العربية إذا أتوا بها في نثرهم، ألم يرد في الكتب الأدبية أن القاعدة كذا و شذ الشعر الفلاني عن القاعدة للضرورة الشعرية ؟

نقل عن إمام أهل العربية أبي الحسن الأخفش قوله : حق هذا (كذا و كذا) إلا أنه يجييء في الشعر ما لا يجييء في الكلام (ملخص) (١)-

يقول ابن جني : ((إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منفي عليه)) (٢)-

و يقول الإمام الأخفش : إن صرف ما لا ينصرف مطلقا لغة الشعراء و ذلك أنهم كانوا يضطرون كثيراً لإقامة الوزن إلى صرف ما لا ينصرف، فتمرن على ذلك ألسنتهم فصار الأمر إلى أن صرفوه في الإختيار أيضاً (٣)-

سبحان اللّٰه :إن الذين عاشوا في أعطاف الشعر حتى أصبح الشعر دينهم و دنياهم و فنهم، و الذين أبحروا في الشعر حتى نالوا البراعة و بلغوا مبلغ السحر في الشعر، نراهم

---

(١) الصحاح، للجوهري- (٢) الخصائص، لابن جني- (٣) الخصائص ، لابن جني-

يأتون بأمور تخالف قواعد اللغة العربية بعذر الضرورة الشعرية، ولو أنهم أتوا بهذه الأخطاء في النثر لوصفوه بالخطأ و قاموا بتخطئة أنفسهم، إذا كان هذا حال تلك الصفوة فما بال أئمة الدين و عباد اللّٰه المخلصين الذين يرون زيادة الإشتغال بالشعر وكثرة النظم عيبا عليهم، و مخالفة لقول النبي الأكرم صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم : ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) (١) و قد قال النبي عليه الصلاة و السلام : ((لأن يمتليء جوف أحدكم قيحا حتى يرديه خير له من أن يمتليء شعراً)) رواه الأئمة، أحمد، و الستة عن أبي هريرة رضي اللّٰه تعالىٰ عنه (٢) و قال عليه الصلاة و السلام : ((هلك المتنطعون، هلك المتنطعون (٣) رواه أحمد، و مسلم، و أبو داؤد عن أبي مسعود رضي اللّٰه تعالىٰ عنه ـ

و قال عليه الصلاة و السلام : ((الحياء و العي شعبتان من الإيمان، و البذاء والبيان شعبتان من النفاق)) رواه أحمد، و الترمذي و حسنه، و الحاكم و صححه عن أبي أمامة رضي اللّٰه تعالىٰ عنه ـ (٤)

و إن أئمة الدين لا يبغون البراعة في النظم ، و المجال ضيق إذ يبحث الشعراء البارعون عن منافذ للقول، فعدم اهتمامهم بقواعد اللغة ليس ببعيد، و في هذا المقام كنت أستطيع الإتيان بخمسة و عشرين نموذجاً على سبيل المثال مما نظمه أكابر

(١) جامع الترمذي، ج ٢ صفحه ٥٥ ـ

(٢) صحيح البخاري (كتاب الأدب) ج ٢ صفحه ٩٠٩ ـ صحيح مسلم (كتاب الشعر) ج٢ صفحه ٢٤٠ ـ جامع الترمذي (أبواب الأدب) ج٢ صفحه١٠٨ ـ سنن أبي داود (باب ما جاء في الشعر) ج٢ صفحه٣٢٧ ـ سنن الدارمي (كتاب الإستيذان) ج ٢ صفحه ٢٠٨ـ سنن ابن ماجه (إبواب الأدب) صفحه ٢٧٥ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل (ط : المكتب الإسلامي بيروت) ج ٢ صفحه ٢٨٨، ٣٣١ ـ

(٣)صحيح مسلم (كتاب العلم) ج ٢ صفحه ٣٣٩ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١ صفحه ٣٨٦ ـ سنن أبي داود (كتاب السنة) ج ٢ صفحه ٢٧٩ـ

(٤) جامع الترمذي (أبواب البر و الصلة، باب ما جاء في العي) ج ٢ صفحه ٢٣ ـ

مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٥ صفحه ٢٦٩

شعراء العرب حيث ذهبت بهم الضرورة الشعرية إلى ما هو خارج عن قواعد العربية و يعد مهجوراً، و لولا الضرورة الشعرية لكانت غلطة مهجورة، و لكن شهرة هذه الأمور و ظهورها منعنى من إيضاح الأمر الواضح ـ

على القاصرين ألا يقلدوا كبار الشعراء في التصرفات النادرة :

و من الطريف أن التصرفات البعيدة عن القواعد تعتبر من خواص عظماء اللغة و البيان، بينما منع القاصرون من الإتيان بهذه التصرفات، فإنهم إن أتوا بها يعتبر صنيعهم هذا من عجزهم ـ

يقول الإمام المحقق على الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام : أما قول الشاعر : ((و الأرض أبقل أبقالها)) بتأويل المكان، فهو تصرف ليس لنا أن نفعله بل إنما أن نؤوّل الوارد عنهم مخالفاً لجادتهم، لذا لم يورد أهل الشأن هذا البيت إلا مثالا لشذوذ، غير أنهم عللوا الواقع بما ذكروا إلا أنه أعطى ضابط صحة استعمال مثله لمن شاء (١) ـ

عند ما يهمل أهل اللغة قواعدها ولا يعتني بها من هو معتز ببراعته في اللغة فمن الغريب أن باب الإهمال لا يفتح لمن لا يعتني باللغة و قواعدها اعتناء بالغاً (بل ينصب اهتمامه كله في المعاني) ـ

يقول الشاعر الفارسي ما معناه : ((عيب عليّ ما هو مبعث الفخر عندك)) ـ

---

(١) فتح القدير، للإمام محمد ابن الهمام، ج ١ صفحه ٢٣٩ ـ

النكتة السادسة

السبب النفيس لصدور كلمات رفيعة من أولياء اللّٰه الصالحين و المؤيد بحديث نبوي شريف

لقد تحدثنا حتى الآن عن كلام العوام و أحوال الأنام و أقول و أتوجه الآن إلى الوقت الخاص الذي يحصل للعوام عند حصول المرامات العظيمة، و يحصل للأولياء الكرام قدست أسرارهم ـ حين حصول الوردات الجليلة و التجليات الفخمة بكثرة ، أعني البهجة التي تحيط مجامع القلب و تلهيه عما حوله، و هذه اللحظة تواتي الألوف و تذوقهم حلاوة ﴿**حَتّٰى تَعْلَمُوْا مَا تَقُوْلُوْنَ**﴾ (١) لقد ورد في الحديث الصحيح أن الرسول صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم ضرب مثلا يبين حال عبد من العباد، رواه البخاري و مسلم في صحيحيهما بألفاظ عديدة عن عدة من الصحابة رضي اللّٰه تعالىٰ عنهم ـ و الغرض يتعلق بأحد ألفاظ مسلم عن أنس بن مالك رضي اللّٰه تعالىٰ عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم : ((اللّٰه أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت عنه و عليها طعامه و شرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : (اللهم أنت عبدي و أنا ربك) أخطأ من شدة الفرح(٢)ـ

لقد كانت هناك الفرحة المحضة التي ألهته عما يقول حيث إنه يريد شيئاً ولكنه يقول شيئاً أخر، أما أولياء اللّٰه الصالحون ـ نفعنا اللّٰه تعالىٰ بهم ــ فإنهم يتمتعون عند نزول التجليات الإلهية بالبهجة و السرور بالإضافة إلى الإستغراق في مشاهدة الجلال و

(١) سورة النساء ٤ / ٤٣ ـ

(٢) صحيح مسلم (كتاب التوبة) ج ٢ صفحه ٣٣٥ ـ

الجمال الإلهيين و تبلغ بهم هذه البهجة إلى درجة تلهيهم عن أنفسهم، و في هذا يقول الإمام جلال الدين الرومي :

كل شيء قاله غير المفيق إن تكلف أو تصلف لا يليق لا تكلفي فإني في الفنا كلت أفهامي فلا أحصى ثنا ـ

و مما قاله الشيخ الرومي في بيتيه الفارسيين : عندما لم يكن موافقا للواقع كل ما يقوله (الرجل المشار إليه آنفا) لم يكن التصنع غير لائق جداً ، و ماذا أقول في ذلك الحبيب الذي لم يعرف حقيقته أحد كما حقها، مع أنني لا أجد عرقا نشيطا في جسدي ـ

وفي مثل هذه اللحظات يخرج من أفواههم في نشوة التجليات الإلهية ما لايعرفونه حتى أنهم ينسون من هم؟ و أين هؤلاء؟ فلا عجب لو خرج من فم أحد ((أنا الحق)) أو ((سبحاني ما أعظم شأني)) بدلاً من قوله ((أنت الحق)) و ((سبحانك ما أعظم شأنك)) و ذلك على غرار ما نقله سيد الأنبياء عليه أفضل الصلاة و أجمل التسليم : عن عبد من عباد اللّٰه تعالیٰ يقول في شدة الفرح : ((اللهم أنت عبدي و أنا ربك)) بدلا من أن يقول : ((اللهم أنت ربي و أنا عبدك)) (١)

و قد برره الحبيب المصطفیٰ صلی اللّٰه تعالیٰ عليه وسلم بقوله : ((أخطأ من شدة الفرح)) فلا عتاب و لا مؤاخذة عليه شرعا فإن السلطان لا يقبض الخراج من الصعلوك ـ

---

(١) و لعل هذا ما عرف في علم النحو ببدل الغلط

جلالة مرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني و بيان الروية المنامية التي حظي بها الشيخ خليفه بن موسى رحمهما اللّٰه تعالىٰ

هذا ما ذكرناه آنفا حال أهل السكر، و لكن أخص الخواص الذين جعلهم سلطان الرسالة عليه أفضل الصلاة و التحية ـ في ظل حمايته و تربيته الخاصة ، و منحهم إمامة الأمة و زعامة الملة بعد أن جعل كلا منهم الوارث الأتم و الخليفة الأعظم، و تأتيهم من الأعلى جل جلالهٗ من القوي النبوية و الفيوض المصطفية ما تأتي، بناء على تلك القوي و الفيوض تتأهل قلوب أخص الخواص لحمل الأثقال العظيمة ولا يهتزون، و قتئذ تصبح آية ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى**﴾ جنة لهم، ﴿**وَمَا كَذَبِ الفُؤادَ مَا رَأى**﴾ حماية لهم، و تتمتع قلوبهم برحابة جليلة تتسع بعد ذلك أفئدتهم لألوف من بحار ((سقاني الحب كأسات الوصال)) يشربونها و لكن تلك النفوس القدسية لا تقطر قطرة في غير محلها من بحار الحب الإلهى، و إنهم يتلذذون بمئات من كنوس ((فساقي القوم بالوافي ملالي)) و لكنهم لا ينطقون بحرف يخالف الَهدُىَ النبويّ، إنهم أئمة الهدى و مصابيح الدجى، المتتبعون لخطوات الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و على نوابهم إلى يوم القيام ـ

إن الرؤيا المنامية التي رآها الشيخ خليفة ابن موسى نهر ملكي قد س سره ـ تشير إلى مرتبة الإمام عبد القادر الجيلاني الرفيعة حيث إنه يقول : رأيت رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم فقلت له يا رسول اللّٰه لقد قال الشيخ عبد القادر الجيلاني :

((قدمي هذه على رقبة كل ولي للّٰه)) فقال: ((صدق الشيخ عبد القادر‘ كيف لا و هو القطب و أنا أرعاه))(١)۔

أقول و باللّٰه التوفيق : إن خلاف الواقع يصدر من اللسان دونما قصد حينا و عن قصد حينا آخر‘ و قد نفى النبي صلى اللّٰه تعالیٰ عليه وسلم أن يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني خلاف الواقع و ذلك بقوله عليه الصلاة و السلام ۔ ((هو القطب)) بمعنى أنه هو القطب و لا يليق ادعاء القطبية أمامه‘ و ذلك على أن التعريف للتخصيص‘ و ليس من شأن القطب أن يكذب فضلاً عن سيد الأقطاب رضي اللّٰه تعالیٰ عنه و عنهم أجمعين ۔ أما إدلاء القول الذي يخالف الواقع دون عمد إثر نشوة الحب الإلهى فقد برر النبي صلى اللّٰه تعالیٰ عليه وسلم ۔ موقف الشيخ عبد القادر الجيلانى من هذا الأمر بقوله : ((أنا أرعاه)) كأنه يقول : أنا أرعاه بالقوي المحمدية و أثبت قلبه على الهدى‘ كما أجعل قلبه و لسانه في اتباع الأنبياء‘ فكيف يمكن أن يقول ابننا ما يخالف الواقع‘ أو يدعي مثل أهل السكر بالدعاوي الحالية ۔

الحمد للّٰه هذا هو المعنى، الذي بينناه آنفا ۔ لما اشتهر عن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني (قدمي هذه على رقبة كل ولي للّٰه) و ليس ما ذهب إليه و اخترعه بعض معاصرينا‘ و أنهم استخرجوا معان لم يقصدها شيخنا الجليل إنما استخرجوها لينكروا فضل الشيخ عبد القادر الجيلانى‘ وتفصيل ذلك فى رسالة هذا العبد الفقير ((مجير معظم)) (١٣٠٣هـ) وفي شرح القصيدة المدحية ((أكسير أعظم)) (١٣٠٢هـ)۔

ياهذا إن جلوس الشيخ عبد القادر على المنبر خير تصديق لقول الرسول صلى اللّٰه

(١) بهجة الأسرار و معدن الأنوار‘ للشيخ علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي (ط:شركة مكتبة و مطبعة المصطفى الحلبي البابي بمصر‘دون سنة الطبع) صفحه ١٠

تعالیٰ علیه وسلم ـ ((أنا أرعاه)) و هناك أمور أخرى تصدق مقولة الرسول صلى اللّٰه تعالیٰ علیه وسلم المذكورة آنفاً منها تفضله رضي اللّٰه تعالیٰ عنه على المنبر و اتساع المنبر الشريف مد البصر لورود تجلي الجمال و نمو جسده رضي اللّٰه تعالیٰ عنه نموا عظيماً ' ثم انكماشه حتى صار كالعصفور و ذلك نظراً لتجلى الجلال' ثم ورود التجلي الأعظم عليه رضي اللّٰه تعالیٰ عنه و الذي لا يمكن تحمله إلا بقوة النبوة ثم تمايله إلى الأرض إلى حد السقوط على الأرض فظهور الحبيب المصطفٰى صلى اللّٰه تعالیٰ عليه و سلم لإنقاذه من السقوط بالقوي الإلهية التي كان الحبيب المصطفٰى صلى اللّٰه تعالیٰ عليه و سلم يتمتع بها(١) و أمثال هذه الأمور مذكورة بالفصيل في البهجة المباركة و غيرها من الكتب المعنية بسيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني' وإنه رضي اللّٰه تعالیٰ عنه ـ القائل : ما رفع المصطفٰى صلى اللّٰه تعالیٰ عليه وسلم قدما إلا وضعت أنا قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه' إلا أن يكون قدما من أقدام النبوة ' فإنه لا سبيل أن يناله غير نبي (٢)ـ

---

١) بهجةالأسرار، للشطنوفي صفحه٩٨ـ

٢) المرجع السابق ، صفحه ٢٢ـ

و مماقلته في مدح سيدنا الشيخ

١ ـ لقد جاء التاج و عرش سليمان على نبينا و عليه الصلاة و السلام من الشام إلى العراق، السلام عليك يا وارث ملك سليمان ـ

٢ ـ إن قيامك بوضع القدم من حيث يرفع النبي صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم قدمه المباركة غير أقدام النبوة فإنه لا سبيل أن يناله غير نبي ـ

٣ ـ يا رئيس ندوة ((كأسات الوصال)) يا من يرمي جرعة نصيبا للأرض من كأس الكرام ـ

٤ ـ و العجب أن تاج قدمك على الرؤس للعون إلى ملك بغداد وكأس عشقك في أفواه محبيك (أي يشربونها)

٥ ـ لو أنك تمر على بيت أظلمه الهم و الحزن لتعالت هتافات السرور من الساحة و نزلت الأنوار من الجدران ـ

٦ ـ إن الروح فداء لرأسك المبارك، و ما أحسن سيادتك التي على أرضها الرؤس ساجدة (لجلالة اللّٰه خالقك)

٧ ـ لا أبقى اللّٰه رأس متمرد يحوّل رأسه عنك تكبرا، فإن رؤس السادة البارزين مفروشة تحت قدمك ـ

٨ ـ إنني أنهى كلامي بمدح رأسك المبارك فإن ما أقوله في مدح رأسك المبارك كلام عادي للغاية و لابد أن أخرج فكرة مدحك من رأسي و السلام على قدمك من الرؤس الكثيرة ـ

٩ ـ مائة سلام على جمالك من أحمد رضا الصعلوك يا من تمثلت فيه

السيادة (١) خلاصة القول : إن سيدنا الشيخ رضي اللّٰه تعالیٰ عنه ـ يعد بحق إمام الفريقين و نظام الطريقين، و سيد أصحاب الصحو، و الوارث الأكمل لسيد المرسلين صلى اللّٰه تعالیٰ عليه وعليهم أجمعين و بارك و سلم لذا نرى أن اللّٰه تعالیٰ حمى سيدنا الشيخ من شطحات السكر، و أكرمه بجعل أقواله و أفعاله و أحواله و أعماله سببا لإحياء الملة و مطلبا للسنة، فإنه لا يقول حتى يؤمر بالقول، و لا يعمل حتى يؤذن، رضي اللّٰه تعالیٰ عنه و أرضاه و حشرنا في زمرة من تبعه و وآلاه، آمين۔

و مع هذا و ذاك هناك التجليات العظيمة و الواردات الجسيمة التي يلهي عشر معشارها عامةَ الناس عن أنفسهم، بيد أننا لا نجد عند سيدنا الشيخ عبد القادر غير الإطمئنان و الإستقامة، و لكننا في بعض الأحيان نرى منه عدم الإهتمام بالألفاظ حيث لا نجد الحفاوة بعض القواعد العربية، فليس هذا محل الإستغراب، يا هذا لوكان الأمركما قلنا فإن شيخنا أهمل جانبا من الأمور الزوائد و الشكر للّٰه تعالیٰ الذي أنقذه من الزلات في الأمور التي تعد من أساسيات الدين و ذلك خلال ورود التجليات الجسيمة و الواردات العظيمة و الحمد للّٰه رب العالمين۔

---

١) هذه ترجمة عربية لأبيات نظمها الإمام أحمد رضا خان بالفارسية في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني۔
يستهل الشاعر منظومته هذه بالإشارة إلى مدي تأثير الشيخ عبد القادر الجيلاني و تعليماته الصوفية في العالم الإسلامى مشبها ذلك بملك سليمان، كما يشير في البيت الثاني إلى مقولة الشيخ عبد القادر الجيلاني سالفة الذكر و في البيت الثالث يسلك الشاعر مسلك الرمز فيتخذ من لامية الممدوح رمزا للحب الإلهى و يسأله شيئاً من هذا لحب مستشهدا بقول القائل : ((و للأرض من كأس الكرام نصيب)) و هذه غاية التواضع كأن الشاعر أرض يسأل ممدوحه الكرم، و في البيت الرابع يذكر الشاعر قراء ة مقولة الشيخ عبد القادر الجيلاني : ((قدمي هذه على رقبة كل ولي اللّٰه و نرى الشاعر من خلال البيت الرابع أنه يطلب من روح شيخه الجليل الكرم حيث إنه يرى و يعتقد أن اللّٰه تعالیٰ أكرم أرواح الأولياء بقوة التصرف في الكون، و البيت السادس يعرب عن حب الشاعر بالممدوح، و ما أجمل التعبير، و في البيت السابع يدعو الشاعر على من ينكر فضل ممدوحه، وفي المقطع يعبر الشاعر عن عجزه عن مدح الشيخ الجيلاني سالكا مسلك التواضع، و المنظومة تدل على حب الشاعر بالممدوح، و تمكنه من ناصية اللغة الفارسية، تعليق من المترجم ممتاز أحمد سديدي كان اللّٰه له۔

النكتة السابعة

في أن أولياء اللّٰه تعالىٰ يلحنون عن عمد في بعض الأحيان و لهم في ذلك أسرار

إنه أمر غامض أن أولياء اللّٰه تعالىٰ قَدّسَنَا اللّٰه تعالىٰ بأسرارهم ـ يلحنون عن عمد في بعض الأحيان، و لهم في أمرهم هذا أسرار أنظارنا قاصرة عن إدراكها، يحدثنا الشيخ كليم اللّٰه الجشتي الجهان آبادي في كتابه الرقعات عن ((صلاة الأسرار)) أي الصلاة الغوثية (و هي تتمثل في التوسل بالشيخ عبد القادر الجيلاني إلى اللّٰه سبحانه تعالىٰ) و إنه بعد سرد الترتيب لهذه الصلاة يقول : ثم يصلي على حضرة النبي ـ صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم فيردد الرباعية التالية ألفا و مائة و أحد عشر مرة ـ

أيد ركني ضيم و أنت ذخيري أأظلم في الدنيا و أنت نصيري فعار على حامي الحمي

و هو إذا ضاع في البيداء عقال بعيري

كل حاجة يطلبها (من ربه بوسيلة الشيخ عبد القادر الجيلاني) فإنها تقضي، و في بعض الأحيان تظهر الروح الطاهرة للشيخ عبد القادر الجيلاني فترد على السؤال، و اعلم أن في كلمتي حامي الحمي بعض الخلاف، فإن الشيخ أبا يزيد يقول : إذا أراد الرجل زيارة الشيخ عبد القادر الجيلاني فعليه أن يقرأ حامي الحماء بكسر الحاء و فتح الهمزة بدلا من حامي الحمي، و إذا أراد صداقة أحد، أو حصول وظيفة أو الزواج يعني أراد حاجة تتضمن معنى الإتصال فعليه أن يقرأ بضم الهمزة، و إذا أراد قهر الأعداء يعني طلب حاجة تتضمن معنى الكسر فيقرأ بكسر الهمزة ، مع أن وزن البيت لا يستقيم لأن

الألف المقصورة و الممدودة لا تستقيمان مع الوزن، كما لا تمشيان مع التحليل النحوي أيضاً، فإن كسر الهمزة (في كلمة الحماء) أنسب و لا يجوز فتح الهمزة، وكتب إليَّ الشيخ فريد ميرتي و هو يقول إنه يقرأ لفظ ((الضيم)) مرفوعا بالفاعلية ألف مرة، بيد أن الشيخ أبا يزيد يقرؤه منصوبا على أنه التمييز من الضمير المستتر في ((يدرك)) و ذلك على غرار رُبَّهُ رجلا ـ إنتهى بلفظه الشريف ـ

لذا أوصى بعض المشايخ أن اللفظ يقرأ كما نقل عن أولياء اللّٰه الصالحين قدست أسرارهم ـ و لا يغير اللفظ و إن كان اللحن يفرض نفسه في ظاهر الأمر، فإن لهم أسرارا لا نعلمها، و البركة مطروحة فيما نطقت ألسنتهم ـ

النكتة الثامنة

إهمال الأولياء الأجلاء و الأئمة و العلماء الكبار في أمر العربية

إن الإنصاف خير الأوصاف، و على المنتقص من قدر القصيدة الخمرية المباركة أن ينظر في المثنوي المعنوي للإمام الأجل و العارف الأكمل سيدي و مولاي محمد بن محمد بن حسين جلال الملة و الدين البلخي الروي قدس سره الشريف فإنه يجد في عباراته العربية ضمن الأبيات أو الأشعار الكاملة أو المصاريع، أو أجزاء المصاريع مائة الأمور لو رآها من منظور قواعد العربية حقيقة أو بنظر التنقيص لاعتبرها أخطاء، هذا في العبارات العربية، أما العبارات الفارسية فنجد فيها ألفاظاً لا تعد و لا تحصي لو قرأناها بالنطق الصحيح لوقعنا في زحافات يرفضها النظم الفارسي و يكرهها الطبع و السمع السليمان، و من هنا فإنه لا يستطيع أحد غير الذي لم يعرف تعظيم الأولياء أن يصف الشيخ الرومي بعدم البراعة في قول الشعر، أو العاجز عن النظم اللطيف، و من الممكن أن يتفوه المتمرد على الشيخ الرومي أثر إصابته بالجنون فينفي عن الشيخ الرومي قيامه بتصنيف المثنوي المعنوي، إنني أقدم إلى حضراتكم بعض النظائر من القسم الأول (اللحن في العبارات العربية) قال (الشيخ الرومي) قدس اللّٰه سره و أفاض علينا نوره۔

ع : تا إليه يصعد أطياب الكلم

ف : هكذا تعرج و تنزل دائما ...... ذا فلا زالت عليه قائما

ع : مزء مخفي لدي طي اللسان

ع : باز خوان فأبين أن يحملنها

ف : سرامسينا لكرديا بدان ...... راز أصبحنا عرابيا بخوان

ع : يشهد اللّٰه و الملك و أهل العلوم

ع : كاد فقر أن يكن كفر كبير

ع: كفت ببغمبركه عينائي تنام

ع: لحن خواندن لفظ حي على الفلاح

ف:كوئي اللّٰه أكبر وآن شوم را ...... سر ببرتا و أدهدجان أزغنا

ف : الكياسة و الأرب لأهل المدر......الضيافة و القرى لأهل الوبر

ع: ليك إذا جاء القضا عمي البصر

ف:أعط ما شاء وا وراموا وضهم...... يا ظعينا ساكنا في أرضهم

ع : استعينو في الحروب يا ذو النبي

ع : كفت : المرؤ مع محبوبه

ع: كل شيً ما خلا اللّٰه باطل

ع: كفت أليس اللّٰه بكاف عبده

ع: جون محبم حب يعمي و يصم

و في هذه المجموعة يجد القاري ء الكريم نظائر القسم الثاني (اللحن في العبارات الفارسية) أيضاً ، إلى غير ذلك مما يكثر عدها و يطول سردها، سبحان اللّٰه ، ألم يكن الشيخ الرومي يعلم أن ثمة همزة مفتوحة بعد الفاء لا الألف في قوله : فأبين أن يحملنها، ألم يكن يعرف أن العين ليس ساكنة في : ((حي على الفلاح)) و قس على

هذا ما تركنا، حاشا و كلا إن الشيخ الرومي علمه غزير، و كماله كبير، و شأنه عظيم و قدره فخيم، هذه الأمثلة التي قدمناها لا تساوي شيئاً، إنه رحمه اللّٰه تعآليف ـ كأنه ملما بحقائق العربية و دقائقها قطعا و جزما، و إنه أتى بهذه العبارات (التي أشرنا إليها) عن عمد، و ذلك لأنه كان مركزاً على إفادة المقاصد العالية و نظم الفرائد الغالية، فكان يتجنب الخلل في تحقيق هذا لهدف، وكان يفضل الإشتغال بالأمور المهمة من الإهتمام باصلاح الأمور التي تعد من الزوائد، و أنا لا أدري ماذا يقول المتمرد على الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الشيخ الرومي، فإن كان يرغب في الطعن فعليه بالدفتر الثالث من الجزء الأخير من المثنوي حيث يتحقق مطلبه، و لا حول و لا قوة إلا باللّٰه العلي العظيم تعاليٰ و تبارك ـ

النكتة التاسعة

إن الكمال في اللغة لا يعد من كمال أهل الكمال

بل يعتبر من الزوائد

يقول العبد الفقير إلى اللّٰه العلي القدير أن حقائق اللغة و العروض لا تعد من الكمال الديني و لا ينحصر عليها كمال ديني بل هي زوائد محضة، فماذا ينقص بنقصها، إن المقدمة الأولى تبين لنا أن الكفار شركاء في الإلمام بحقائق اللغة و العروض، و هناك بون شاسع بين شعراء الإسلام و شعراء الجاهلية و ذلك واضح في القرآن الكريم، و اللّٰه سبحانه و تعالىٰ هو القائل عن الحبيب المصطفىٰ صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم ، ﴿**وَمَا عَلَّمۡنَاهُ الشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِيۡ لَهٗ**﴾ (١) أما المقدمة الثانية فيتجلي صدقها من حديث الرسول صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم : ((أنتم أعلم بأمور دنياكم)) أخرجه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين الصديقة و أنس بن مالك (٢) ـ

و في حديث جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه تعالىٰ عنهما : ((خرج علينا رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم و نحن نقرأ القرآن و فينا الأعرابي و العجمي فقال : اقرأوا فكل حسن و سيجييء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه و لا يتأجلونه)) رواه أبوداؤد(٣) و البيهقي في شعب الإيمان (٤) و مما هو معلوم أن لهجة الأعاجم و الأعراب لم تكن من الفصاحة بمكان بمثل لهجة العرب و لكن النبي صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم ـ استحسن و قرر لهجتهم، كما استنكر التجويد الذي لا فائدة له و الذي يهتم بالزوائد و يهمل المقصود، و العياذ باللّٰه رب العالمين ـ

---

(١) السورة يسن ٣٦ / ٦٩ ـ

(٢) صحيح لإمام مسلم (كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعا إلخ) ج٢ صفحه٢٦٤ ـ

(٣) سنن لإمام أبي داؤد (كتاب الصلاة ، باب ما يجزي الأمي و الأعجمي من القراءة) ج ١ صفحه ١٥

(٤) شعب الإيمان (ط : دار الكتب العلمية بيروت) ج ٢ صفحه ٥٣٨ ـ

تكريم سيدنا الشيخ عبد القادر بالفصاحة من رحاب النبي ـ صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم ـ :

هل عدم إلمام الصحابة الأعاجم و الأعراب باللغة العربية الفصحى مثل العرب المتأخرين يورث النقصان؟ ثم ربنا عزوجل ـ لم يحرم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني من فضل الفصاحة والبراعة في لغة الضاد ـ

انظروا في بهجة الأسرار حيث ورد أن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني رأى جده صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم فدار بينهما الحوار على النحو الآتي : يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني : رأيت رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم فقال لي : يا بني لم لا تتكلم؟ (أي لا تخطب) قلت : يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم على فصحاء العرب ببغداد، قال لي : افتح فاك ، ففتحته فتفل فيه سبعا، و قال لي : تكلم على الناس، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة، فصليت الظهر و جسلت، و حضرني خلق كثير فارتج عليّ، فرأيت علي بن أبي طالب كرم اللّٰه تعالىٰ وجهه قائما بإزائي في المجلس فقال لي : يا بني لم لا تتكلم؟ فقلت : ((يا أبتاه قد ارتج عليّ)) فقال : ((افتح فاك)) ففتحته فتفل فيه ستا، فقلت : لم لا تكملها سبعا ؟ فقال : تأدبا مع رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم ـ (١) و بعد هذا تفجرت بحار العلوم من صدره الشريف إلى لسانه الطاهر و أدلى بكلام فصيح سلس للغاية بطلاقة بالغة، الأمر الذي جعل فصحاء العرب ينقادون وينحنون لفصاحته ﴿ **ذٰلِکَ فَضۡلُ اللّٰهِ یُؤۡتِیۡهِ مَنۡ یَّشَآءُ وَاللّٰهُ ذُوالۡفَضۡلِ الۡعَظِیۡمِ** ﴾ (٢) و لو كان سيدنا الشيخ تفضل بكلام لا ينسجم مع

(١) بهجة الأسرار، للشطنوفي ، صفحه ٢٥، ٢٦ ـ

(٢) و هنا أورد الشيخ أحمد رضا خان بعض الأبيات الفارسية في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني مما نظمه أبو المعالي، و الغربتي، كما ذكر رباعية أردية نظمها العلامة المصنف بنفسه، فرأيت ألا أورد هذه الأبيات الفارسية التي أخشي ألا أتمكن من إبراز جمالها ـ

كلام العرب قبل هذا العطاء النبوي فذلك الكلام ليس بمحل القول و الطعن فيه، و يمكن أن تكون الوقائع و الأحداث التي ظهرت بعد العطاء المصطفى من باب الإلقاء من اللّٰه سبحانه و تعالىٰ و اللّٰه سبحانه و تعالىٰ أعلم۔

النكتة العاشرة

لحن المحبوبين أحب من صواب الآخرين

لقد كان الكلام كله من منظور أن غرض الطاعن في القصيدة الخمرية هو نفي نسبتها عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، يعني أن الطاعن يرى أن في لغة هذه القصيدة كلاماً لذا لا يصح نسبتها إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ رضي اللّٰه تعالىٰ عنه ـ ولو كان طعنه في القصيدة بعد إثبات نسبتها إليه رضي اللّٰه تعالىٰ عنه ـ فليكن التراب على وجه العصبية، فإن هذا الرجل العصبي يجد جزاء علمه يوم الجزاء، لأنه لا يطعن في المحبوبين عند اللّٰه تعاليف إلا شقي و عنيد ذو فساد في الدين و العياذ باللّٰه من كل فساد ـ

يا هذا لو اعترفنا بلحن صريح في بعض الكلام لأحد المقربين إلى رب العالمين جل جلاله ـ بغض النظر عن هذا و ذاك فإن لحنه أحب إلى اللّٰه سبحانه وتعالىٰ مائة ألف مرة من صوابك أنت، اسمع ماذا يقول الشيخ الرومي قدس سره ـ في المثنوي المعنوي ، إنه القائل : إذا كان حديثك غير مستقيم (أي من ناحية القواعد) و المعنى سليم فإنه مقبول عند اللّٰه تعالىٰ، و إذا كان الزيغ في المعنى و الكلام مرصع فلا يليق ذلك الكلام بشي ء من الحفاوة ـ

في بيان أن خطأ المحبين خير من صواب غيرهم :

يقول الشيخ الرومي رحمه اللّٰه تعالىٰ : ذلك بلال الصادق الذي كان يلحقن في الآذان للصلاة فيغير حي و يقول هَيٌّ و يؤذن بكل الواضع حتى قال أصحاب

الرسول ـ صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم ـ إن هذا اللحن (هي) غير مستقيم و نحن في مستهل عهد الإسلام ـ

قالو ا أيها النبي الرسول عليك الصلاة و السلام ـ نريد مؤذنا أفصح من بلال‘ فإن اللحن في حي على الفلاح في بداية عصر الإسلام ليس إلا عيبا ‘ فظهرت آثار الغضب على رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالىٰ عليه وسلم ـ وكشف الغطاء عن بعض العطايا الإلهية السرية على سيدنا بلال قائلاً : إن لحن بلال أحب إلى اللّٰه سبحانه و تعالىٰ من مائة حي على الفلاح من غيره من الطاعنين في لحنه فلا ترفعوا أصواتكم حتى لا أفشى أسراركم من البداية إلى النهاية ـ

اللهم إني أعوذبك من جهد بلائك‘ و أسألك حسن الأدب مع جميع أوليائك‘ آمين ‘ آمين‘ آمين ‘ إله الحق آمين‘ و الحمد للّٰه رب العالمين ـ

تنبيه نبيه (١)

الحمد لله سبحانه و تعالى، فقد وصل الكلام نهايته، و بلغ ارتياب رتاب منتهاه، و لقد بقي أن أبين أن حديثي هذا من البداية حتى النهاية كان بناء على الإفتراض بأن في القصيدة الخمرية بعض المخالفات لقواعد العربية، فلينظر المنكر لفضل سيدنا الشيخ في افتراضنا بعض الأخطه اللغوية في القصيدة الخمرية و لكن بركات الشيخ عبد القادر أيدتني فاستطعت أن أجعل إنكار المنكر هباء منثورا، و إننا نريد أن نقنع الطاعن فعليه أن يخبرنا بما يختلج في خاطره بالتفصيل حتى نبسط له الكلام و نتمتع بالمزيد من بركات سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني، يا هذا لا تستحيي في إبراز خواطرك حتى نعرف ماذا في الخمرية من الأغلاط و التي بسببها ترفع الصيحات، أرجو أن ينجلي الحق للطاعن في لغة القصيدة بإذن الله القادر سبحانه و تعالىٰ ـ

يا هذا إن الإنسان يظن الصحيح غلطا بسبب جهله و ذلك فى أمر المحبوبين عند رب العالمين جل جلاله ـ و صدق المتنبي حين قال :

وكم من عائب قولا صحيحا و آفته من الفهم السقيم

و إن أهل العصبية و العناد يمارسون الطعن فى أهل الحق، و تصفر وجوههم عند ما يطلب منهم ما يثبت دعواهم و ذلك على حد قول الشاعر :

كغرائرالحسناء قلن لوجهها حسدا و بغضا إنه لدميم

يا هذا عليك بنفسك حتى لا يتبين غباؤك و جهلك بالعلوم و الحرمان من الوصول إلى المفاهيم، و الوقوع في الخطأ حيث قال القائل :

(١) إن هذا التنبيه يتوجه إلى من ينفي نسبة الخمرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، و بالتالي إلى الذي يطعن في لغة القصيدة مع إثبات نسبتها إلى سيدنا الشيخ، و لكن هذا التنبيه يتوجه بصفة خاصة إلى الطاعن في لغة القصيدة (تعليق من المصنف

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه اشفق

على الرأس لا تشفق على الجبل

و يقول هذا العبد الفقير إلى اللّٰه العلي القدير ﴿في بيت فارسي ما معناه كالتالي﴾ : يا من يضرب الجبل برأسه حتى تجعله مثل الشعر، لا تشفق على الجبل اشفق على رأسك۔

إن هذا العبد الضعيف غفر اللّٰه تعالىٰ له ۔ نظر في القصيدة المجيدة نظرة تفصيلية ۔ و الحمد للّٰه تعالىٰ ۔ لم يجد من أولها إلى أخرها موضعا يوصف بالخطأ، و ذلك بعد إحاطة مسائل الأدب، و اللغة العربية، و مجريات الشعر، و فن العروض، و نقاط المعاني، و لطائف الفكر الصائب و النظر الثاقب، اللهم إلا موضعا رفع فيه الشك رأسه، و لكن هذا الشك سوف يزول ببركة انتسابنا إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ۔ إن شاء اللّٰه تعالىٰ ۔

ولو افتر ضنا بقاء شبهة في موضعها فلا يجعله سببا للطعن في القصيدة إلا جهول، و الذي يُدخل نفسه في مثل هذه المطاعن ماذا يفيد من الصحاح الستة، و الشفاء للقاضي عياض، و الهداية، و الفتاوى الخانية، و الأشباه و النظائر، و الدرالمختار، و غيرها من جلائل الأسفار و التي سبق أن ذكرناها ضمن النكتة الثانية، ثم ماذا تكون مرتبة هؤلاء الأعلام في نظر ذلك الجهول عن منزلة تلك الصفوة المختارة۔

أسأل اللّٰه العلي القدير أن يلهمنا بوسيلة محبوبيه حب الأولياء و العلماء و أن يعلمنا حسن الأدب معهم، و يميتنا على الدين الحنيف و الملة البيضاء، إنه ولي ذلك و القدير عليه، و الخير بيديه، و الأمر إليه، و صلى اللّٰه تعالىٰ و بارك و سلم على المولى الرؤف الرحيم الأكرم و آله و صحبه سادات الأمم، و ابنه الكريم، الغوث الأعظم

(الشيخ عبد القادر الجيلاني) علينا بهم، يا أرحم الراحمين، و الحمد لله رب العالمين آمين، آمين يا أكرم الأكرمين، سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك و أتوب إليك۔

كتبه : عبده المذنب أحمد رضا البريلوي عفي عنه بمحمد المصطفٰى النبي الأمي صلى اللّٰه تعالىٰ عليه و سلم۔

فرغت من تعريب هذه الرسالة في ٢٨ من شهر ربيع الأول ١٤٢٠ هـ الموافق غرة يوليو ٢٠٠٠ م أسأل اللّٰه ۔ سبحانه و تعالىٰ ، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، رب اغفر لي و لوالدي و لأساتذتي و مشايخي و للمؤمنين يوم الحساب۔

......☆......☆......☆......☆......☆......

اِقامة القِيامة

علٰى طاعن القيام لنبي تهامة

تصنيف

ألإمام أحمد رضا خان القادري رضي اللّٰه تعالىٰ عنه

تعريب

ممتاز أحمد سديدي ،قاهرة ، مصر

تـقديم

السيد حازم محمد أحمد المحفوظ

الأستاذ المساعد بكلية اللغات و الترجمة

جامعة الأزهر الشريف ، مصر ،

الناشر :

المدينة

العلمية

،كراتشي باكستان

صندوق البريد : ١٨٧٥٢

ای ـميل ilmia26@hotmail.com

كراشتي باكستان

اَلفَضُل الُمَوهبیُ

فِيُ مَعُنٰی اِذَا صَحَّ الُحَدِیُثُ فَهُوَمَذُهَبِيُ

الإسم التاريخي

اعزّ النكات بجواب سؤال أركات

١٣ هج ١٣

للإمام أحمد رضا خان رضي اللّٰه تعالیٰ عنه

١٢٧٢ه　　　١٣٤٠ه

١٨٥٦م　　　١٩٢١م

تعريب

الأستاذ إفتخار أحمد القادري

الناشر :

المدينة العلمية

صندوق البريد ١٨٧٥٢

إي ـ ميل : ilmia26@hotmail.com

كراشتي باكستان

{......۱۷......}

تمهيد الإِيُمَانِ

المصنف

الإمام أحمد رضا خان القادرى

قدس سره العزيز المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ

المعرب

محمد القادرى

الناشر

المدينة العلمية

كراتشى باكستان'

صندوق البرد ١٨٧٥٢ '

اى ـ ميل : ilmia26@hotmil.com

{......۴۲......}

الإجازات المتينه لعلماء

بكة و المدينة

مصنف :

حجة الإسلام العلام محمد حامد رضا خان

بن

الإمام أحمد رضا خان القادري رضي اللّٰه تعالیٰ عنه

الناشر:

المدينة العلمية

صندوق البريد :18752

إي ـ ميل :ilmia26@hotmail.com

كراتشي ،باكستان

كفل الفقيه الفاهم

في أحكام قرطاس الدراهم

للإمام أحمد رضا خان القادري رضي اللّٰه تعالىٰ عنه

المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ

الناشر

المدينة العلمية

كراتشي باكستان

صندوق البريد ١٨٧٥٢

إي ميل : ilmia26@hotmil.com

التحميد

الحمد للمتوحّد   بجلاله المتفرّدِ

و صلاته دومًا علىٰ   خير الأنام محمّدِ

و الآل و الأصحاب هم   ما وايء عند شدائدي

فإلى العظيم توسّلي   بكتابهٖ و بأحمدِ

و بمن ١م أتىٰ بكلامهٖ   و بمن هَدیٰ و بمن هُدی

و بطيبة و بمن حوتُ   و بمنبر و بمسجدِ

و بكل من وجد الرّضا   من عند ربّ واحدِ

لا هُمّ ٢م قد هجم العِدیٰ   من كل شاءٍ أبعدِ

في خيلهم و رجالهم   مع كل عادٍ معتدِ

ها وين زلة مثبت   باغين ذلة مهتدِ

لكن عبدك آمن   إذ مَن دعاك يؤيّدِ

لا اختشى من بأسهم   يد ناصري أقوىٰ يدِ

لاهُم ٢م فادفع شرهم   و قِنِي مكيدة كائدِ

و اَدِمُ صلاتك و السلام   على الحبيب الأجودِ

و الآل أمطار الندا   و الصحب سحب عوائدِ

ما غرّدت ورقا على   بأن كخير مغردِ

واجعل بها أحمد رضا

عبدًا بحرز السيدِ